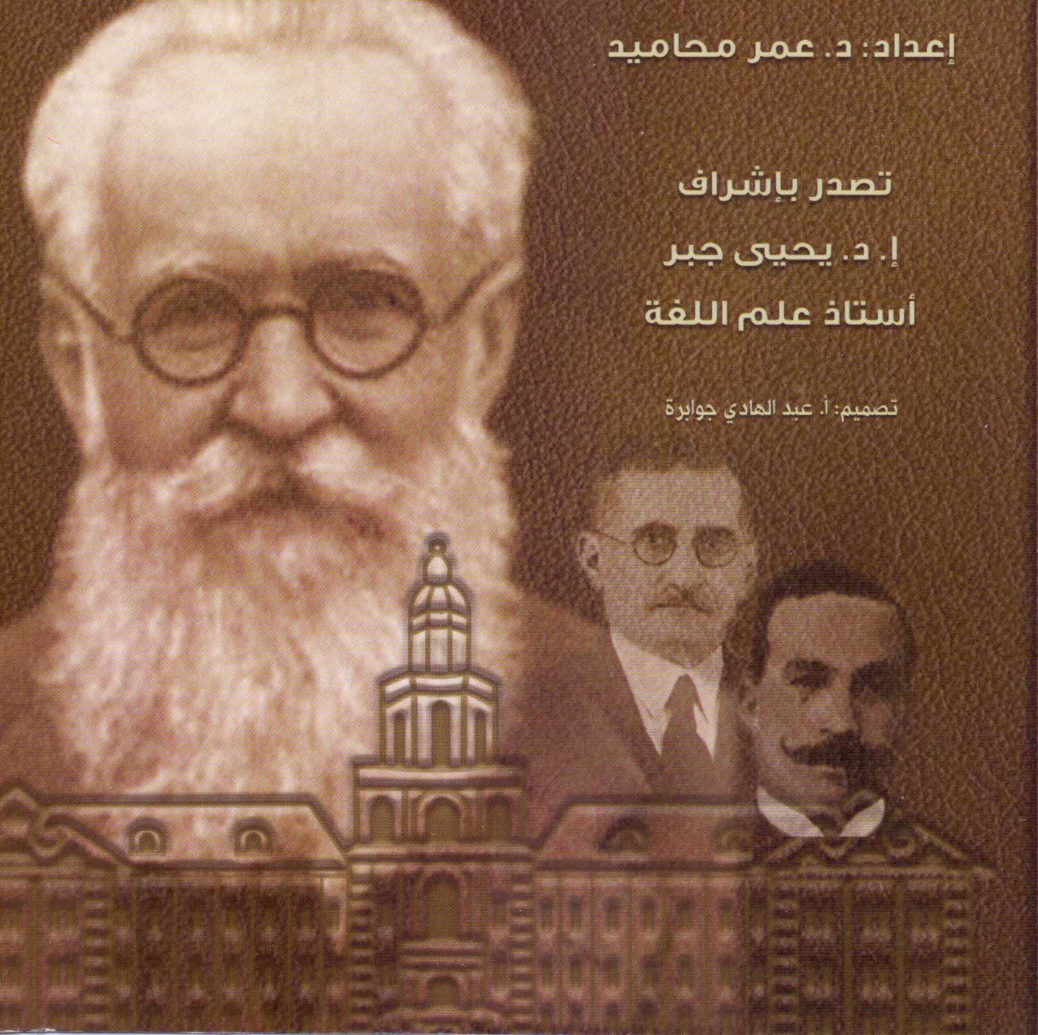
دائرة المعارف الفلسطينية
خزانة فلسطين التاريخية (٤)

مقدمة في الأدب العربي والاستشراق الروسي والمراسلات

بين

أغناتي كراتشكوفسكي والكتاب الفلسطينيين

وغيرهم من العرب



إعداد: د. عمر محاميد

تصدر بإشراف
إ. د. يحيى جبر
أستاذ علم اللغة

تصميم: أ. عبد الهادي جوابرة

جامعة النجاح الوطنية

أسهم د . عمر محاميد في الإنفاق على طبعه

مقدمة في الأدب العربي والاستشراق الروسي والمراسلات بين أغناتي كراتشكوفسكي والكتاب الفلسطينيين وغيرهم من العرب



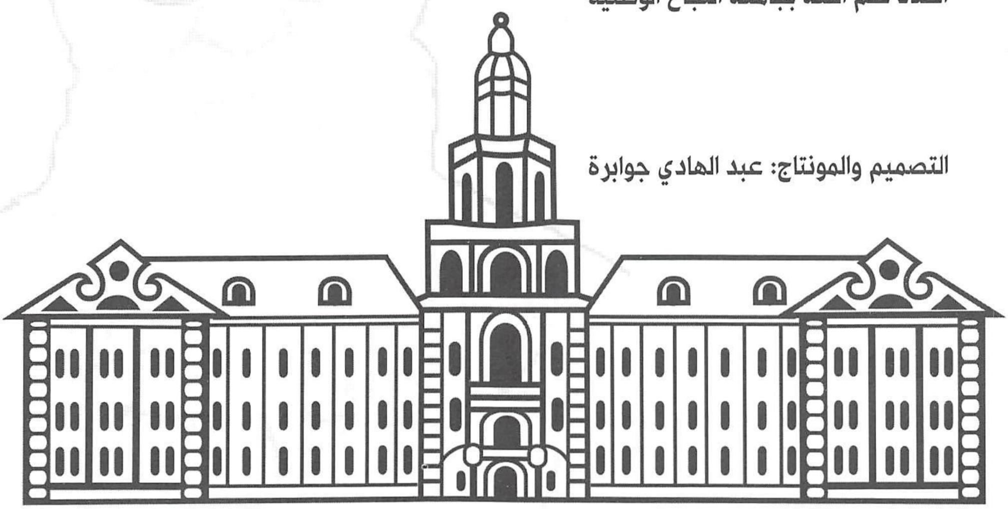
اعداد

د. عمر محاميد

تصدر بإشراف

أ. د يحيى جبر

أستاذ علم اللغة بجامعة النجاح الوطنية



التصميم والمونتاج: عبد الهادي جوابرة

نابلس

الطبعة الاولى 2015م

(يمكن تحكيم الأبحاث للراغبين في ذلك على نفقة المؤلف)

أسهمت أ. روضة عبد الهادي في تحريره

تعريف بدائرة المعارف الفلسطينية

محاور دائرة المعارف الفلسطينية

- موسوعة علماء فلسطين وأعيانها، ويتضمن هذا المحور مادة الموسوعة التربوية الفلسطينية وزيادة
- خزانة فلسطين التاريخية
- خزانة فلسطين الجغرافية
- سلسلة التراث الشعبي الفلسطيني «من الخابية»
- بنك معلومات القدس

المحتوى:

نأمل أن تحتوي هذه الدائرة على كل ما يتصل بفلسطين الأرض والإنسان، مخترقة حدود المكان والزمان .وهي مبوبة في محاور بحسب الموضوعات التي تشتمل عليها، فقِسم لعلماء فلسطين وأعيانها عبر القرون، بغض النظر عن ديانتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم الفكَرية والحزبية، وآخر يتضمن خزانة فلسطين التاريخية، ندرج فيه وقائع الزمن، والحوادث التي تعاقبت على فلسطين، وثالث يخصص لخزانة فلسطين الجغرافية، فلا نترك موقعا ولا بلدا ولا عينا ينتهي إليها علمنا إلا رصدناها فيه، كما نتضمن الدائرة قسما يخص المأثورات والفنون الشعبية الفلسطينية، أسميناه «من الخابية»، الوعاء الفلسطيني المشهور في بيوتنا قديما، وسيدرج في هذا الإطار كل ما يتصل بأنماط الحياة الشعبية مما له ارتباط بالقول أو العمل اليدوي أو الحركي .أما القسم الخامس فهو «بنك» للمعلومات المتصلة بالقدس على وجه الخصوص.

ولما كان المشروع على هذا القدر من التشعب والاتساع، فإننا نهيب بكل مطالع أن يبادر إلى تزويدنا بما لديه من معلومات على هيئة مادة إلكترونية، أو أن يرشدنا إلى المصادر التي يمكن أن نجد فيها ما يندرج في هذه الأطر، كما أننا نستاذن الباحثين والناشرين في نشر ما نجده من موادهم الإلكترونية في هذا الموقع. وسنسعى من بعد إلى إصدار المادة مطبوعة في مجلدات نحكِم ترتيبها بطريقة تسهل الرجوع إليها.

الهدف:

تهدف جامعة النجاح الوطنية من وراء هذا المشروع إلى توثيق فلسطين الأرض والإنسان انطلاقا من شعورها بالمسؤولية التاريخية تجاه فلسطين وقضيتها ومستقبلها، فلئن حالت الظروف المتعاقبة دون إنجاز المشروع الحضاري الفلسطيني وفقا لما يقتضيه انتماء فلسطين وأهلها؛ فليس أقل من النهوض بما يوثقها ويحفظها من الضياع، ولا سيما أن كل فلسطين مستهدفة أرضا وإنسانا وثقافة وتراثا.

الآلية:

سنبادر إلى رفع ما لدينا من مواد دائرة المعارف الفلسطينية على الشبكة الإلكترونية، وسنبدأ في الوقت نفسه بجمع المعلومات المختلفة ومعالجتها لرفعها، راجين من كل متصفح أن يبادر إلى الإسهام في هذا العمل الجليل، وسندرج اسم صاحب المشاركة إزاءها من باب حفظ الحقوق .وستصدر الجامعة مواد دائرة المعارف في كتب تنشر تباعا بحيث تتضمن المادة الأصلية وما قد يرد إلينا من تعليقات أو نقد أو مداخلات تتصل بها.

حدود المسؤولية:

لا تتحمل الجامعة أي مسؤولية تجاه ما ينشر، وإنما تقع المسؤولية أول ما تقع على عاتق المؤلف يليه في ذلك من يعترض أو ينتقد، لأننا ننشر ما ننشره ونترك للمتصفحين حق التعليق والتعقيب، وحق الرد والنقض، فنحن نعلم أن أحكامنا على الأشخاص والأشياء من حولنا تختلف، إذ أن كلا منا يحكم بحسب ما يتوفر لديه من معلومات، ونعد بنشر كل ما يرد إلينا من مداخلات أو تعليقات دون تدخل. ونأمل بذلك أن يتمخض الحوار عن الحقيقة التي تتكفل الأيام بحفظها بعد أن نعمل على جلائها.

تصدير

انطلاقا من الدور المنوط بجامعة النجاح الوطنية من حيث هي أكبر المؤسسات الأكاديمية في فلسطين، ومن استعدادها للنهوض بأعباء المشروع الحضاري الفلسطيني، فقد شرعت في إعداد دائرة المعارف الفلسطينية، وبادرت إلى جمع المعلومات التي تتصل بعلماء فلسطين وأعيانها، وبالمواقع الجغرافية، والوقائع التاريخية، إضافة إلى ما وعته الذاكرة وترجمته الحياة الشعبية من مأثورات قولية أو يدوية، إلى جانب ما يتصل بمدينة القدس مما نطمح إلى أن يشكل من بعد بنكا للمعلومات الخاصة بها.

وقد رأت الجامعة أن تكلف الأستاذ الدكتور يحيى جبر بمهمة الإشراف على هذا العمل الضخم، لخبرته في هذا المجال، إذ سبق أن أصدر تراجم لنحو من مائة من أعيان فلسطين وأعلامها، كما أصدر بضعة كتب تتصل بتاريخ فلسطين والمواقع الجغرافية الفلسطينية والأدب الشعبي.

إن جامعة النجاح الوطنية لترجو بهذا العمل أن تحقق مزيدا من التفاعل الحضاري على الساحة الوطنية في جميع مجالات المعرفة، ونحن من هنا نهيب بكل المعنيين أن يبادروا إلى التواصل مع الموقع المخصص لدائرة المعارف الفلسطينية، وأن يزودوه بما لديهم من معلومات، وألا يبخلوا بملاحظاتهم وإبداء آرائهم لما في ذلك من نفع يعود على الجميع، ولا سيما أننا سننشر ما يرد إلينا على مسؤولية مؤلفه؛ تاركين للمتصفحين حق الرد والتعليق والنقض، واعدين بأن ننشر ذلك من بعد في كتب تشكل أجزاء دائرة المعارف.

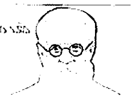
وتمثل هذه الدائرة، في حال إنجازها على الوجه المأمول، نجاحا وطنيا كبيرا، يسهم في تحقيقه الفلسطينيون هوية وهوى، وإن فلسطين لتستحق منا ذلك وأكثر، ونرجو بهذا العمل أن نوفق إلى توثيق فلسطين وحفظ تراثها والتعريف بأعيانها وعلمائها ونعرف بمواقعها ومأثوراتها، فلا تطالها إيدي المعتدين، ولا يجور عليها الزمن بالعفاء والاندثار.

إن الشعب الفلسطيني، وبالرغم مما تواتر في ساحته من الأحداث، لقادر على النهوض بعزيمة الغير من أبنائه، لتحقيق أهدافه المشروعة، متحديا الاحتلال، ومتمردا

على ظروفه العصيبة، ومن هنا كانت مبادرة جامعة النجاح الوطنية إلى الشروع في إصدار أجزاء دائرة المعارف الفلسطينية، لتكون عونا للباحثين، ومصدر افتخار لأبناء فلسطين، وهذا أوان الشد.

أ.د. رامي حمد الله

رئيس الجامعة



مقدمة

إن الشعوب التي تحرص على التواصل بين أجيالها المتعاقبة، وتحافظ على ذاكرتها يقظة حاضرة بشكل مستمر، لهي جديرة بالارتقاء في مراتب المجد، وبلوغ آمالها وتحقيق أهدافها، وإن أبطأ بها الزمان لما قد يعترض طريقها من عقبات كالاحتلال وتفرق الأسر ونقص الموارد، ولكنها لا تلبث حتى تحطم أغلالها، وتكسر قيدها، وتنطلق في مسيرتها بعزيمة وثبات.

وتسعى جامعة النجاح الوطنية بهذا العمل إلى تقديم كل ما نتوصل إليه من معلومات تتصل بالأرض والإنسان، إذ ستتضمن أسفار دائرة المعارف كلا من خزانة فلسطين التاريخية، وسلسلة "من الخابية" للمأثورات الشعبية، وموسوعة أعلام فلسطين وأعيانها، وخزانة فلسطين الجغرافية، وبنك معلومات القدس، ومن هنا، فإن جامعة النجاح الوطنية لترجو بهذا العمل أن تخطو بالمجتمع الفلسطيني خطوة جبارة على طريق السؤدد الاجتماعي والمجد. وسنكرر هذه المقدمة في صدر كل عدد من أسفار الدائرة، وقد اعتمدنا في تقديم المادة على إطلاق الحرية للمعدين، بغض النظر عن الاختلاف بين مناهجهم، وتفاوت الموضوعات التي يتناولونها، كما تركنا المجال مفتوحا لهم لجمع ما يرونه من المعلومات عن هذا العلم أو ذاك، وعن هذا الحدث أو ذلك الموضوع، على نحو ما يجده المطالع في هذه الأسفار من تفاوت.

وجدير بالذكر أننا لا نحقق في صحة المعلومات الواردة إلينا، فذلك يحتاج إلى جهود لا سبيل إلى توفيرها، ولكننا، ومن أجل أن يظل الباب مفتوحا أمام التصويب والتصحيح، لنرجو من كل القراء أن يبدوا آراءهم في ما يقرؤونه، وأن يعقبوا عليه ـ إن شاؤوا ـ سلبا أو إيجابا، لأننا نعلم أن بعض المسائل والأعلام تشكل لغزا يصعب حله، والتحقق من أمره، ومرادنا هو أن نقدم للقراء صورة صادقة عن ما تدور حوله موضوعات دائرة المعارف الفلسطينية، ملونة بألوانها التي تحملها مرددين مقولة « هذا نحن» بما لنا وما علينا، والقارئ شريك الكاتب .... هذه حقيقة علمية نحاول أن نصدر عنها.

وسنخصص هذا الكتاب للمراسلات التي جرت بين المستشرق الروسي مار أغناطيوس كراتشكوفسكي، وبين الكتّاب والأدباء العرب، بمن فيهم من الفلسطينيين، ومرد اهتمامنا بالموضوع لأن لهذا الرجل باعا طويلا في الدراسات العربية والإسلامية، ولو لم يكن له سوى كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) لكفاه فخرا، وقد ترجم هذه الكتّاب للغة العربية سفير السودان لدى موسكو صلاح الدين عثمان هاشم

ونرجو من القراء الكرام أن يبادروا إلى الإسهام في إعداد هذا العمل، وفي غيره من فروع دائرة المعارف الفلسطينية، وألا يألوا جهدا في سبيل إنجازها على أكمل وجه وأوفاه، لأن فلسطين تستحق منا ذلك وأكثر، فقد دقت ساعة العمل، وحان الوقت لنفض غبار الزمن، ورفع راية التحدي الحضاري.

وكنت في العقدين السابقين قد أصدرت نحوا من خمسة وأربعين كتابا تضمنت تراجم لكثير من أعيان فلسطين، وتراثها وجغرافيتها، ولكنني لم أتمكن من مواصلة إصدارها لأسباب مختلفة، حتى كانت مبادرة الأستاذ الدكتور رامي حمد الله حين أبدى رغبة الجامعة في إعادة إصدارها ،وتَقَصّي سير الأعلام الفلسطينيين على أوسع نطاق ممكن، وفتق غرارها لتتضمن فروع الدائرة سالفة الذكر.

وهنا لا بد من كلمة حق أنوّه فيها بجهود الأستاذ الدكتور رامي حمد الله، رئيس الجامعة، وضابط إيقاع أنشطتها المختلفة، وأثني على دوره الفعال في رفع شأن العلم والعلماء، وتشجيع الفعاليات الثقافية والعلمية في الجامعة والمجتمع، إذ لولا ذلك منه لما أتيح لهذا العمل أن يرى النور بصورته العتيدة. والله الموفق للسداد.

أ.د. يحيى جبر

الفصل الأول

الأدب الفلسطيني و"الآخر"

"الحواريون هم الفلسطينيون"(1)

هذا ما كتبه المؤرخ شارل جينيبر رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس، في كتابه المسيحية ونشأتها (شارل جينيبر ص، 72) " وهو كتاب مترجم للعربية، وفي نفس السياق تابع جينيبر يكتب" مرت دعوة أصحاب عيسى في عبورها من ربوع فلسطين إلى أراضي المهجر بأدوار غاية في التسلسل، وكأنها أدوار حتمية لا مرد لها. فمجموعة "أعمال الرسل " حواريين استمالوا إلى عقيدتهم بعض اليهود اليونان الذين وفدوا إلى القدس في الاحتفالات الخاصة ببعض الأعياد" ويضيف : ورحل الأنصار الجدد المطرودون، رحلوا إلى فينيقيا وقبرص وأنطاكية حيث راحوا يبشرون بعيسى في المعابد وتحدثوا أيضا إلى أهل اليونان أي إلى المتقين بالله وآمن الكثير من هؤلاء اليونانيين بالسيد المسيح" .

وفي مكان آخر يقول المؤرخ الفرنسي عن" فكرة فلسطين والآخر" موضحا أهمية المكان في نشر تعاليم الأنبياء والرسل إلى العالم الخارجي فيقول (يمكن القول بان "فكرة الكنيسة" نشأت عند انتقال الأمل المسيحي من فلسطين إلى ربوع العالم اليوناني، وأيضا إذا شئنا - عن تطور الأمل إلى العالمية.

لقد وصلت هذه التعاليم مع نهاية القرن العاشر الميلادي بعد وصولها وانتشارها في كل مناطق حوض البحر المتوسط وأصبحت روما مركز الديانة المسيحية، ومنها إلى بلاد السلافيين الروس بعد أن اعتنق أمير روسيا ونبيلها فلاديمير الديانة الأرثوذكسية المسيحية عن طريق من حبيبته اليونانية أولغا التي تعود جذورها وأصولها إلى الشعب اليوناني الأرثوذكسي.

ومن هنا جاء الأديب العبقري فيدور دوستيفسكي في روايته الشهيرة الخالدة (الجريمة والعقاب)، فالمشهد المشهور الذي يزور فيه راسكولنيكوف سونيا لأول مرة (مع القراءة في الإنجيل) يعتبر منجزة قد أسبغ عليها الروح المسيحي: اسينكريزات الحوارية الحارة (الإيمان إلى جانب الكفر والخضوع إلى جانب الكبرياء) والأنا كريننا والاقتران الخلفي Oxymoron (الجمع بين كلمتين متناقضتين في المعنى، المفكر - المجرم، والزانية - التقية، والطرح المكشوف للمسائل الأخيرة، وقراءة الإنجيل في وضع مبتذل) هذا

ما كتبه باختين الناقد الروسي عن شعرية وعن عبقرية الحوار في أعماله الأدبية حيث يصبح الحوار في روايته عملية كرنفالية تتسم بالتعددية والأفق الواسع الذي يشمل جميع الشخصيات على مختلف أجناسها وأنواعها وخلفياتها الثقافية والدينية، كما في مذكرات "من بيت الموتى" (2)

إن هذا الحوار هو سبب النشاط والربيع والحياة في أعمال دوستيفسكي، وهو مصدر المناقشات الكرنفالية الشعبية بين الموت والحياة، بين الظلمة والضياء، بين الشتاء والصيف، إلى غير ذلك، هذه المناقشات المفعمة بمضمون التناوب والنسبية المرحة، الذي لا يسمح للأفكار بالتوقف والتيبّس عند موقف جدي أحادي الجانب، وعند محدودية شكل ومحدودية دلالة سيئة، كل ذلك استقر في أساس النواة الأولية لهذا الصنف الأدبي، بهذا تميز الحوار السقراطي" (باختين ميخائيل، شعرية دوستيفسكي ص.193).

رسالة أحمد بن فضلان عن الروسية وأدب الرحلات :

إن رحيل الحواريين ورحيل أتباع المسيح من فلسطين إلى بلاد عديدة خارج فلسطين كان عاملا أساسيا في الحوار بين فلسطين و"الآخر"، وعرف العرب أدب الرحلة قبل مجيء جميع الديانات، ففي مجدو وسواحل حيفا وبيبلوس وعكا تشير المخطوطات والآثار إلى معرفة العرب والكنعانيين بلاد الفراعنة ومصر قبل آلاف السنين، ووصلت عاداتهم وتقاليدهم وطقوس عبادتهم لآلهتهم إلى جميع أنحاء العالم القديم خصوصا ما بين النهرين وبلاد وادي النيل. وأدب الرحلات هو المعين الأكبر الذي يستقي منه "الأدب المقارن" المعلومات عن الأمم والشعوب الأخرى، والصورة التي يرسمها أدب الرحلات لأية أمة أخرى صحيحة أم مشوهة هي التي تنعكس في قصص الكتّاب وفي مسرحيات المؤلفين وفي عقول رجال الأدب والسياسة والثقافة والمفكرين، وفي حملة نابليون أو رحلته إلى الشرق صوّر الرحالة القادمين مع هذا الغزو النابليوني للشرق جميع مرافق الحياة الشرقية مما ترك الأثر الكبير على حياة الغرب الثقافية وخاصة الفرنسية؛ فنجد كثيرا من الصور الشرقية في أعمال كبار الكتّاب الفرنسيين فولتير، شاتابوريان، بلزاك، وفكتور هوجو من وحي أعمال الرحالة وانطباعاتهم، وكثير من هؤلاء الرحالة ممن عرفوا لغة فلسطين العربية ولغة مصر وبلاد الشام العربية وأتقنوها عملوا في ترجمة أدبنا وفكرنا وثقافتنا إلى لغة بلدانهم.

وبعض المترجمين يصل بهم الحد إلى أن يصبح قريبا من التأليف، فمن أجل معرفة "كليلة ودمنة" ودراستها ومعرفة أسلوبها يجب أن ندرس حياة أبي المعالي نصر الله وسيرته وعصره لأن ترجمته الفارسية لكليلة ودمنة تختلف كثيرا عن النص الأصلي لابن المقفع.

أما المترجم الفرنسي لأعمال شكسبير ليترنور (-1736 1788) فقد تجلت شخصيته في ترجمته لشكسبير والشاعر الإنجليزي يانج. ويمكن القول عن ترجمة خليل بيدس لأعمال الكتّاب الروس، حيث كانت ترجمته في ظل قمع السلطان العثماني تحتاج إلى الحيلة والمراوغة والعبقرية للإفلات من الرقيب ومقصه المسلط على أبناء العروبة في عهد السلطة العثمانية، فتصبح ترجمة استبداد الملوك (أهوال الاستبداد) حيث تختفي في الترجمة للعربية عند بيدس كلمة "الملوك" من النص الأصلي.

إن مقارنة الآداب المختلفة أصبحت علما من علوم اللسانيات ، وأصبح علم "الأدب المقارن" يدرس في الجامعات الأوربية، ويتم التعامل مع الدراسات التي تدرس الآخر وأدب الآخر من العلوم المستقلة.

وقد تطور هذا الصنف من العلوم عبر العصور، ففي العصور الوسطى خضعت الآداب الأوربية المختلفة لعوامل مشتركة وحدت اتجاهاتها، وأهم هذه العوامل "العامل الديني" فكان رجال الدين هم القراء والكتّاب وتغلغل الروح المسيحي في إنتاج الأدب الأوروبي في القرون الوسطى؛ فقد كانت اللاتينية هي لغة العلم والأدب، كما كانت هي لغة الكنيسة.

وفي عصر النهضة (القرنان الخامس والسادس عشر) اتجهت الآداب الأوروبية وجهة الآداب القديمة من يونانية ولاتينية، وكان للعرب فضل كبير في توجيه الأنظار إلى قيمة النصوص اليونانية بما قاموا به من ترجمات الفلاسفة اليونان وبخاصة أرسطو، فحاول رجال النهضة الرجوع إلى تلك النصوص في لغاتها الأصلية، ثم أخذوا في طبع النصوص اليونانية وترجمتها والتعليق عليها. [3]

واذا كان للعرب الفضل الأكبر في تعريف الأوروبيين بأدب وفلسفة اليونانيين، فإن الفلسطينيين لهم الفضل الأكبر في تعريف العرب بأدب الأوربيين في القرون القادمة، فانبعاث المدارس والكليات وبناء الأديرة والمستشفيات الأجنبية في جميع أنحاء فلسطين

- في أواسط القرن التاسع عشر - أتاح للفلسطينيين التعرف على كثير من لغات الشعوب، ولا سيما أن الاستعمار الأوربي لفلسطين وبلاد الشام أخذ طابعا شموليا حيث هبت كل بلاد أوروبا إلى فلسطين بذريعة حماية "القبر المقدس".

ومن هنا جاء إلى الأديرة الروسية والكنائس الروسية التي بدأت بالظهور في بلاد فلسطين العديد من الرحالة والكتاب والصحفيين ورجال الدين والتجار والدبلوماسيين الذين أخذوا إلى بلدانهم بعد عودتهم القلم، وكتبوا لنا انطباعاتهم عن رحلاتهم إلى الأرض المقدسة، فانتشرت صور فلسطين في المجلات والكتب الروسية وفي أشعار الشعراء الكبار، وأصبحت فلسطين ومدينة القدس هدفا وحلما لكثير ممن تشتاق أنفسهم لرؤية قبر المسيح والسباحة في بحيرة طبرية ونهر الأردن المقدس.[4]

وفي فلسطين، تم إنشاء المدارس التبشيرية، وتنافست الدول الأوروبية على تعليم أبناء الطوائف المسيحية لغة بلدانهم الأصلية الإنكليزية الفرنسية والروسية والألمانية واليونانية، وأصبحت "المسكوبية" هي القاعدة التي انطلق منها الحوار الفلسطيني الروسي، هذا الحوار الذي امتد إلى جميع صنوف العلم والأدب والسياسة.

الترجمة

ترجمة الأدب العربي إلى الروسية :

تزايد اهتمام الأدباء الروس في الاتحاد السوفيتي بترجمة الأدب العربي إلى الروسية وإلى لغات شعوب الاتحاد السوفيتي المختلفة، فبعد تأسيس "اتحاد الكتّاب السوفييت" وقف على رأسه الكاتب السوفيتي الكبير مكسيم غوركي صاحب الرواية الأم التي تمكن القارئ الروسي من التعرف على كثير من الأدباء العرب ومن الشعراء والكتّاب والمفكرين والفلاسفة والجغرافيين العرب.

وقد قام علماء اللغة الروس بنقل أعمال المبدعين العرب الكبار إلى اللغة الروسية، ويعتبر المستشرق الروسي الكبير أغناتي كراتشكوفسكي من الرواد في هذا المجال، فقد نقل للروسية أعمال كثير من المبدعين العرب، وترجم العديد من الروائع العربية إلى الروسية، ويعود تاريخ ترجمة الأدب العربي للروسية إلى القرن التاسع عشر حيث قام المستشرق الروسي سينكوفسكي بنقل معلقة عنترة إلى الروسية، كما قام بنقل أشعار الصعاليك، فنقل أشعار الشنفرى للروسية، وكتب العديد من المقالات النقدية والتحليلية في المجلات والصحف الأدبية الروسية بهدف شرحها وتعريف القارئ الروسي بالأدب العربي الكلاسيكي.

وبعد تأسيس الجمعية الإمبراطورية الروسية الفلسطينية عام 1882 أصبح لدى المختص الروسي بشؤون الشرق منظمة تعنى بكل ما يخص الشرق وأدب الشرق العربي والفلسطيني بشكل خاص، وما يخص المؤرخين وعلماء الآثار ورجال الدين والسياسة الروسية الشرقية من اهتمامات ومصالح ترعاها هذه الجمعية التي ترأسها النبيل سيرجي الكسندروفيتش شقيق قيصر روسيا الكسندر الثالث، وكانت زيارات الرحالة والأدباء والرسامين والشعراء والدبلوماسيون إلى فلسطين برعاية هذه الجمعية التي نشطت نشاطا واسعا في الأرض المقدسة فلسطين بين السنوات 1882-1914.

وخلال هذه الفترة تُرجم كثير من الأدب الفلسطيني بأيدي المختصين الروس، بل بأيدي الطلاب العرب، الذين درسوا في السمينار الروسي في الناصرة وبيت جالا وكثير

من القرى والمدن الفلسطينية الأخرى.

وفي العهد السوفيتي، وبعد تأسيس اتحاد الكتاب السوفييت، وضعت خطة شاملة لتعريف المواطن السوفيتي بروائع الأدب العالمي، فتألفت لجنة خاصة لترجمة الآداب الأجنبية، وسرعان ما نشطت حركة ترجمة الأدب العربي والآداب الأخرى الآسيوية إلى الروسية، واحتل الأدب العربي المعاصر مكانا بارزا مرموقا بين الترجمات العربية الكلاسيكية والحديثة، وظهرت كتب النقد المتخصصة التي كتبها مختصون ومستشرقون سوفييت في تحليل الأدب العربي والتعريف به؛ فنقلت أعمال الشاعر أبي العلاء المعري، والمتنبي، وامرئ القيس، وأبي نواس، واعتنى السوفييت عناية فائقة بالأدب العربي المعاصر؛ فتمكن القارئ السوفيتي من التعرف على أدب نجيب محفوظ ومحمود تيمور، وتوفيق الحكيم وطه حسين، ويوسف إدريس، وغيرهم.[5]

ويجدر هنا أن نشير أن كثيرا من الأدباء الفلسطينيين لعبوا دورا هاما في نقل الأدب العربي إلى الروسية؛ منهم المؤرخ بندلي الجوزي، الذي تخرج من السمينار الروسي في الناصرة والبروفيسورة كلثوم عودة فاسيليفا ابنة الناصرة، التي قامت بترجمة أعمال الأدباء العرب المعاصرين إلى الروسية، ونشرت العديد من المقالات حول التراث العربي الشعبي الفلسطيني في المجلات والصحف السوفيتية.

الأدب العربي في التراث الأدبي والثقافي الروسي
ألكسندر بوشكين شمس الشعر الروسي والأدب العربي

"فتى جذاب، فتى دمث،

لا تخجل مني فنحن أهل،

وبداخلنا لهب عاصف،

ونعيش حياة واحدة،

لقد تآلفنا معا :

تماما مثل جوزة مزدوجة،

أسفل قشرة واحدة"

إن أمير الشعراء الروس الكسندر ميخايلوفيتش بوشكين يتحدث في قصيدته هذه عن جذوره الشرقية، وقد كتب قصيدته هذه من وحي العربي أو محاكاة العربي، وهو في منفاه في أوديسا في جنوب روسيا حيث شارك مع الانقلابيين من الديسمبريين*عام 1825 ضد ظلم القيصر الروسي، فالعربي دمث الخلق، شخصية جذابة، وبينه وبين بوشكين كثير من القواسم المشتركة ! كيف لا وبوشكين تعود جذوره إلى الشرق، فقد جاء إلى روسيا عن طريق جده البحار الإثيوبي الذي ظل في روسيا. وفي اوديسا يتعرف بوشكين على بحار مصري عربي ومن هنا يكتب لقد "تآلفنا معا مثل جوزة مزدوجة " وقد كتب هذه القصيدة عام 1835. (6)

ليس هذه الرابطة والجذور الشرقية لبوشكين هو الدافع الرئيس في تعرف بوشكين وتأثره بالتراث الإسلامي الشرقي والعربي بالتحديد، بل لقد وصلت إليه أشعار العرب

مترجمة إلى الفرنسية والإنكليزية التي عرفها جيدا من خلال ترجمتها إلى هذه اللغات في القرن التاسع عشر مع بداية اهتمام أوروبا المتزايد بالشرق وتراث الشرق على إثر حملة نابليون على مصر وفلسطين.

لقد انتشرت حكاية ألف ليلة وليلة وأشعار عنترة وقيس وليلي وأشعار العرب الجاهلية في كل أوروبا. وكان يعرف حكايات ألف ليلة وليلة عامة الأوروبيين ويقصون هذه الحكايات العربية الشرقية في الأمسيات لأبنائهم. أما المثقف الأوروبي فقد عرف ألف ليلة وليلة بعد ترجمة هذه الرائعة الملحمة العربية عام 1704م إلى الفرنسية وانتشرت ترجمة انطوان جالاند الفرنسي، ثم ترجمتا إلى الإنكليزية والألمانية والروسية وقد تكوّن كثير من الأفكار حول الشرق من خلال حكايات ألف ليلة وليلة، وقد هزت هذه القصص والحكايات أوروبا بعد أن ترجمتا إلى الانكليزية وظهر لها أربع طبعات قبل عام 1713م، ونشرت مسلسلة في صحيفة لندن نيوز. وقال عن هذه القصص الكاتب الإنكليزي جيمس بيتي إنه" كاتب يعرفه الصغار والكبار " وخلال مائتي عام تم إعادة إصدارها أكثر من أربعمائة مرة بلغات أوروبا المختلفة ومنها الروسية. وأسهمت ألف ليلة وليلة في القرن التاسع عشر بالدراسات الشرقية، بل نشأت مدرسة أدبية في أوروبا لما سمي بالروايات والحكايات الشرقية، وقد تأثر الأدب والحركة الرومانسية الأوروبية في القرنين الثامن عشر والقرن التاسع عشر بحكايات "ألف ليلة وليلة" و"جن الملك سليمان" و"قيس وليلى" و"عنترة" وتم ترجمة شعر الصعاليك العرب إلى الروسية، وقام المستشرق سينكوفسكي في القرن التاسع عشر بتخصيص كثير من الصفحات للأدب العربي الجاهلي. (7)

لقد أعيد طباعة "ألف ليلة وليلة" وأخذت عنها مسرحيات ورقصات باليه وأوبريت وأفلام ومسرح عرائس . لقد أصبح كتاب المجموعة الكاملة مرادفا للكتاب العجيب الرومانسي الذي يحتوي على أشكال كثيرة من القصص، فهي تتضمن حكايات ونوادر وقصص المجرمين والمغامرات والحب والجنس، وحكايات تعليمية، وحكايات عن الزهد والنساك، وحكايات عن الشياطين، ونوادر عن الخليفة العربي هارون الرشيد، وقصص عن الأزواج والزوجات، وتعليقات قصيرة على المواقف وحكايات إطار داخل إطار آخر، وقصص مبنية على الحروب الصليبية، بل لقد كان للسندباد، وهي قصص كاتب له تاريخ مستقل في حد ذاته إلا أن المترجم الدبلوماسي الفرنسي الذي عمل في الخارجية الفرنسية

سكرتيرا للسفير الفرنسي في الآستانة، قد استعان بأحد السوريين الساكنين باريس ليضم بعض الحكايات العربية الأخرى. وقد قال غوستاف لوبون الكاتب الفرنسي "أن العرب هم الذين ابتدعوا فن روايات الفروسية ويشهد التاريخ على عظمة رسالة الغفران التي ألفها أبو العلاء المعري وعلى أنها سبقت الكوميديا الإلهية لدانتي بثلاثة قرون وللباحثين موازنات دراسية بين القصتين تثبت الشبه بينهما في المعالم والاتجاهات" (محمود تيمور، الأدب الهادف، القاهرة، 1959 ص:148).

أما فولتير فيقول إنه لم يكتب القصة إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة وتمنى ستندال أن يمحو الله من ذاكرته ألف ليلة وليلة حتى يعيد قراءتها من جديد فيستعيد لذته، وكذلك الشاعر الألماني غوته الذي تأثر بالأدب الشرقي فكتب "الشرق والغرب" مستمدا موضوعاته من التراث العربي والشرقي. (محمود تيمور نفس المصدر ص، 149).

إن ثقافة بوشكين ومعظم الكتّاب والشعراء الروس الفرنسية قد مكنتهم من معرفة التراث العربي والتأثر به للعديد من العوامل، فوجود روسيا في محاذاة البلدان الشرقية وعلى حدود القفقاس ودول آسيا الوسطى الإسلامية، ووجود عدد كبير من التتار المسلمين قد سهّل على الأديب الروسي أن يتعرف على الأدب العربي والإسلامي عن قرب، بل أن يصبح متحيزا إلى هذا التراث المشترك. فقصيدة " تركتني ليلى" التي يقول فيها بوشكين أجمل الأبيات الشعرية عن الحب العذري العربي تنسجم مع كثير من أشعار الشعراء الروس الذين أبدعوا مثل ليرمنتوف [9]الذي كتب عن قصيدة "غصن فلسطين" من خلال "غصن الزيتون" الذي أهداه له صديقه الشاعر جوكوفسكي الذي زار فلسطين عام 1848، هذه القصيدة التي أصبحت من التراث الروسي الفلسطيني الذي يتحدث عن عظمة شجرة الزيتون، وما تجسدها وتمثلها من لحن الخلود، كما في أغنية الموسيقار العربي محمد عبد الوهاب حين كتب ولحن أغنيته عن النهر الخالد.

لقد أحس بوشكين ومن خلال جذوره الشرقية بالمعاني العظيمة لأغاني وحب الصحراء العربية الخالدة، فاستمد من هناك قصص الحب العذري العربي الصحراوي الحار والجميل والصافي، كما حب المجنون لعشيقته ليلى. فهو يقول في ملحمته :

مساء أمس دون اكتراث،
قلت : توقفي، إلى اين ؟

فعارضتني :
رأسك أشيب
قلت : للمتهكمة المتعالية
لكل أوانه !
فالذي كان مسكا حالكا ،
صار الآن كافورا ،
لكن ليلى سخرت
من الحديث الفاشل
وقالت : أنت تعلم :
أن المسك حلو لحديثي الزواج،
أما الكافور فيلزم النعوش

لقد تحدث النقاد عن هذه القصيدة التي أشير إلى أنها تقليد لأغنية عربية صدرت في ترجمة للفرنسية. إن هذه الشخصية "ليلى" قد استلهمها معظم الرومانسيين الأوروبيين في أشعارهم، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بملحمة الحب العربي المعروفة ب "قيس وليلى".

وفي قصيدة "نافورة باخاتشي سراي" يتحدث بوشكين بشوق وعطف كبيرين، وحنينا إلى الليالي الشرقية. إن هذا الشرق رغم لياليه الفاخرة لا ينفصل في رؤى الفنان المبدع عن تراثه الديني، وعن "القانون الأوحد" في حياة الشرق : الوصية المقدسة للقران .

كم هي جذابة الزينة المبهمة
لليالي الشرق الفاخرة
كيف تنساب الساعات أمام عشاق الرسول

إن الأميرة البولندية بطلة ملحمة النافورة يخلدها الخان جري ببناء نافورة مرمرية لكنه لا ينسى أن يظللها ببدر المحمدي تيمنا بروح الإسلام، تقول الناقدة د، مكارم الغمري " لقد لعبت الموسقى الشعرية العربية في نافورة باخاتشي سراي" دورا في تشييد ذلك الأسلوب الشرقي " الذي يعبق بالفخامة "نخرج المؤلف كما أراد له مبدعه "يعبق بالشرق "مجسدا من الأسلوب الشرقي في الشعر الروسي، وهو الأسلوب الذي اقترن في أذهان الأوساط الروسية الأدبية بلغة «الرغبات»وأسلوب المجازات والاستعارات

والتشبيهات"[10].

لقد كتب ليرمنتوف صاحب "بطل من هذا الزمان" رائعته "غصن فلسطين" وهو بعيد عن الأرض المقدسة، ولم يقم بزيارة قبر المسيح عليه السلام، ولم تطأ قدماه أرض الناصرة أو بيت لحم، لكن كل هذه الأمكنة يتحدث عنها، وتصبح جزءا من كيانه العاطفي الشعري، وتصبح جزءا من حلم وخيال جميل يتطلع الشاعر الروسي بشوق وحنين لتحقيقه في الواقع.

غصن فلسطين [١١]

حدثني يا غصن فلسطين
أين كنت تنمو وأين كنت تزهر ؟
أي وديان وهضاب كنت تزين ؟
أكانت مياه الأردن الطاهرة بقربك ؟
أم كانت شمس الشرق تداعبك ؟
هل كان أبناء القدس الفقراء
يصلون بصوت خافت
أم يرتلون أناشيد الزمن الغابر
عندما كانوا يجدلون وريقاتك ؟
لا تزال تلك النخلة
بهاماتها ذات الأوراق العريضة
تستدرج في قيظ الصيف
من يجوب تلك الصحراء
أم أنها ذبلت مثلك
ماتت من ألم الفراق
أخبرني أية يد تقية ورعة
جاءت بك إلى هذا البلد
هل كان صاحبها يحن إليك ؟
وهل لا تزال أثار دموعه المحرقة عندك ؟
أكان خير جندي من جنود الرب
صافي الجبين كصفائك

جديرا يرضى السماوات في
أعين الناس والإله ؟
وهل تقف يا غصن فلسطين
أمام أيقونة ذهبية
حارسا مخلصا للمقدسات
تصونك عناية خفية؟
غصن شفاف ضوء القناديل
أيقونة وصليب رمز القداسة، ..
من ورائك ومن الأمام
عبق البهجة والسلام،

والشاعر ليرمنتوف رغم وفاته شابا صغير السن ولد عام 1814 وتوفي عام 1841، وتعرف على الأدب في ثلاثينيات القرن التاسع عشر في الفترة التاريخية الأليمة الفاصلة بين انتفاضة الديسمبريين والنهضة الديموقراطية لبداية الأربعينيات (ي. ز. بولحريتودفا، الرومانتكية في الأدب الروسي في ثلاثينيات القرن التاسع عشر في كتاب "تاريخ الرومانتيكية في الأدب الروسي" 1825 - 1840 تحرير شاتالوفا موسكو، 1979 م، ص، 258)

لقد عبرت مسرحيات وروايات ليرمنتوف عن الصراع بين الأنا الداخلية والعالم الخارجي، وعبرت قصائده بين عملية التصادم بين المساعي الشخصية والطموحات الذاتية، وبين ظروف الواقع وروايته بطل من هذا الزمان، وصف للصراع الكبير في الواقع لروسي في عصر التحولات من القيصرية والظلم والعبودية، إلى عصر الديمقراطية والأبطال الذين يصنعون الزمان، ومن أهم مسرحياته "الأسبان"، و "الناس والرغبات"، و "الإنسان الغريب"، و "الحفلة التنكرية"، و "الشقيقان"،(1823-1836).

لقد تعرف ليرمنتوف على الشرق والأدب الإسلامي في القفقاس التي أدّى فيها الخدمة العسكرية، فقد رحل الشاعر ليرمنتوف أيضا العديد من المرات للعلاج في المياه المعدنية في القفقاس في السنوات 1818-1820-1825، فكتب عن الشركسي، وعن رغبته بالسفر إلى مكة المكرمة في رسالة إلى صديقه كرايفسكي، وعن علاقته بالإسلام يكتب :

فربما ، سماء الشرق
قد قربتني بلا إرادة مني،
من تعاليم نبيهم،
الحياة تجول دائما . وكذا
الكد والهموم ليلا ونهارا ،
كل شيء ، يعوق التأمل، ويؤديا إلى بدائية
النفس المريضة : القلب ينام،
ولا يوجد براح للخيال

أما في قصيدة هبات التركي(1839)، ففي قصيدته هذه يتحدث عن الهدية القيمة التي تركها له التركي "أية مقدسة من القرأن مخطوطة بالذهب"،(ليرمنتوف المجموعة الكاملة ج 2 موسكو 1976 ص، 113)

أما الجزيرة العربية وقصة البعث القرآني، فتنعكس في قصائد الشاعر ليرمنتوف حين يعبر في رائعته الشعرية عن الفناء والزوال والجفاف حين تتناثر النخلات وسط الصحراء والرياح العاتية حيث تتكاثر بقايا النخلات وتتناثر مع الرمال.

ثلاث نخلات
في السهول الكئيبة لأرض الجزيرة العربية
نمت عاليا ثلاث نخلات شامخات،
النبع بينها من تربة قاحلة،
يخر مخترقا طريقه بموجة باردة،
مصانا في ظل الأوراق الخضراء ،
من الأشعة القائظة والرمال المتطايرة،
ومرت السنوات العديدة غير المسموعة،
لكن الجوال المتعب من الأرض الغريبة
بصدره المتوهج تجاه الندى الرطب
لم ينحن بعد أسفل الأغصان الخضراء ،
وأخذت تجف من الأشعة القائظة
الأوراق الفاخرة والجدول الرنان.

وأخذت النخلات الثلاث تتذمر إلى الله :
" لم ولدنا ألكي نذبل هنا ؟
بلا فائدة نمونا وازدهرنا في صحراء
يهزنا الإعصار والقيظ ،
ألا يسعد بنظرة لطيفة من أحد ؟ . ،
إن حديثك المقدس عن السماء خطأ!"

لقد عرف الروس الشرق منذ جاء الأسقف دانييل ودون مخطوطته حول رحلته فلسطين عام 1108 ومنذ ذلك الوقت جاء الروس إلى الشرق، وتعرفوا على أماكن العبادة المسيحية والإسلامية وتزامنت رحلة الأسقف دانييل مع وجود الافرنج في فلسطين، وظلت القدس محط أنظار ريتشارد قلب الأسد ملك إنكلترا في الحروب الصليبية في القرن الميلادي الثاني عشر مصدر إلهام لاقتلاع "العرب" في هذا الشرق الساحر، وعندما جاء الأسقف دانييل لم يجد هنا "قراصنة" أبداً، بل وجد مقاومة عنيفة لحملات ظالمة، ظاهرها "ديني" تحريري "إلهي"وجوهرها "مالي" قرصني "وحشي" يهدف إلى حل أزمات اقتصادية لبلاد غربية كانت تعاني الفقر والجوع والبرد وظلم اقطاعيين غربيين، كانوا يتعاملون مع سكانهم الفلاحين بوحشية وقسوة وإرهاب لا تمت إلى المسيح "الشرقي الفلسطيني المكان والزمان "ولا إلى تعاليمه بأية صلة. وعليه فإن الكنيسة الأرثوذكسية ليست فقط أنها لم تساهم في هذه الحروب الظالمة والحملات المتوحشة على مصدر الحضارة "المسيح" الناصري، بل عارضت هذه الحملات واتخذت نفس الموقف، العربي الأصلي، وهو موقف المسيحيين العرب الشرقيين والغربيين، وهم المسيحيون الوطنيون الذين وقفوا جنباً إلى جنب مع أبناء المسلمين "العرب" ضد غزوات البرابرة القادمين عبر البحار، يحملون سيف العدوان والسيطرة والاحتلال، الأرض المقدسة أرض الديانات جميعاً والتعددية الثقافية والتسامح الديني وأماكن كثيرة من رحلة دانييل يصف فيها الفلاح العربي أبناء سكان فلسطين الأصليين بالنشاط والجدية واستصلاح الأرض كما جاء في ترجمة كتاب دانييل[12] للدكتور سعيد البيشاوي في مقاله المنشور في كتاب العلاقات بين الشرق والغرب (تحرير د، محمد مؤنس عوض، كلية الآداب عين شمس القاهرة 2003، ص 157) وقد أثنى الرحالة الروسي دانييل الراهب على إنتاج القمح في المنطقة الريفية التي كانت تدخل ضمن حدود إقطاعية الخليل "وهو يعتمد على ما جاء في ترجمة الرحلة

إلى العربية والمنشور في عمان عام 1992، ويضيف الكاتب على لسان دانييل" وقد زرع القمح في المنحدرات الغربية والجنوبية إلى جانب مناطق السهول والوديان التي تقع على هضبة بلاد الخليل، وكانت الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة أو الصالحة لزراعتها تستثنى من زراعة القمح"، (راجع رحلة الحاج الروسي دانييل الراهب إلى الأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي داؤود أبوهدية، عمان، 1992 ميلادي)، ويشير دانييل إلى عملية استصلاح الأراضي لكي تصبح صالحه للزراعة وقيام الفلاح الفلسطيني "بحراثة الأرض أكثر من مرة، وشق القنوات تمهيداً لنقل المياه إلى البساتين، خاصة أن الماء في الخليل يروق لأي إنسان" (رحلة دانييل الراهب، ترجمة سعيد البيشاوي، عمان، 1992 م، ص 30)، ويصف دانييل ثمار جهد الفلاحين الفلسطينيين في الخليل من عمل في الزراعة وإصلاح الجبال العارية وتحويلها إلى جنة من الخضروات، تعتبر أفضل من أي مكان على وجه الخليقة، فيكتب "إن القمح والعنب والزيتون وجميع أنواع الخضروات تنمو بكثرة في هذه المنطقة ومنحدرات جبال الخليل مكسوة بأشجار الكروم وعدد محدود من أشجار الفاكهة وأشجار الزيتون والتين والخروب والتفاح والكرم وأنواع أخرى من الأشجار، وهناك أيضاً مختلف أنواع الخضروات التي تعتبر أفضل منها في أي مكان على وجه الخليقة" رحلة دانييل، ترجمة للعربية، عمان، ص 92".(13)

لقد سبق رحالة العرب جميع كتّاب الرحلات في تدوين وتوثيق رحلاتهم في أصقاع العالم في مؤلفات يصفون فيها ما شاهدوه في مختلف بقاع العالم، ولا يفوتنا أن نذكر الرحالة العربي الشهير أحمد بن فضلان الذي وصف الروسية في كتابه حول رحلة الفولغا عام 922 ميلادي هذه الرحلة التي اعتبرها وبحق المستشرق بارتولد أحد أهم مصادر معرفة أحوال الروس قبل دخول المسيحية إليها.

ومن الرحالة العرب والمسلمين الإصطخري، الذي زودنا بمعلومات عن الخليل في العهد الصليبي، فأشار إلى أن منطقة الخليل كانت تشتهر بأشجار "الزيتون، والتين، والجميز، والعنب، وسائر الفواكه"، أما ابن حوقل فيشير إلى أن بعض هذه الفواكه كان يصدر إلى مصر.

من هنا نرى الحاج الراهب الروسي الأسقف دانييل قد شاهد العمران والزراعة مزدهرة في أراضي الفلاح الفلسطيني، رغم الحروب ومحاولة الإفرنج الاستيلاء على

أراضي الفلاحين العرب، وطردهم من البلاد بالقوة، ويشهد تاريخ الحروب الصليبية العديد من المذابح والمجازر التي ارتكبتها القوات الإفرنجية الغازية بحق السكان المحليين العرب والمسلمين والمسيحيين على جميع قومياتهم، ويصور ذلك في رحلة أوروبي آخر هو فتيلوس (1118-1130) م، الذي صور علاقات مملكة بيت المقدس الصليبية بالدولة الإسلامية المجاورة من الناحية السياسية والعسكرية وقد تمت الرحلة عام 1120م، فيما اعتبرها توبلين أنها تمت عام 1115 م، وهنالك العشرات بل المئات من الرحالة الذين زاروا الأرض الفلسطينية أثناء الاحتلال "الإفرنجي" للأرض المقدسة.[14]

ولم يخل الأسقف دانييل على القارئ بوصف الأحوال السياسية والعسكرية في رحلته عندما يتطرق إلى المقاومة العنيفة، التي أبداها أبطال مقاومة الزحف الأجنبي إلى فلسطين، لارتكاب المجازر تحت مسميات وذرائع دينية، ومع أنه كمسيحي يسمي المسلمين "بالكفار"، إلا أنه يشير إلى الرعب والخوف الذي يدب في صفوف قوات الغزو التي كان يعاني منها أيضاً "الحجاج الأبرياء"، وكان البعض يعتبر هؤلاء جنود وفرسان المسيح المقاتلين بهيئة حجاج "يذهبون ضحية الأعمال البربرية التي ارتكبتها قوات الإفرنج ضد السكان المحليين ومقاومة سكان فلسطين، لهذا الغزو فيقول عن الطريق بين يافا والقدس ويذكر أن يافا لا تبعد كثيراً عن بيت المقدس، وتقع على ساحل البحر حيث يتم الارتحال إلى بيت المقدس براً، وتبلغ المسافة بينهما 30 كم، وهناك في منطقة مسطحة تؤدي إلى كنيسة كبيرة، كرست للقديس جورج، وتقع إلى جانب المذبح قبة القديس الذي استشهد، وذكر أن هناك ينابيع الماء العذبة في ذلك المكان، حيث يصله الحجاج من أجل الراحة في المساء، ويشير إلى أن هؤلاء الحجاج في رعب وخوف وهلع بالغ، وذلك لأن المكان مهجور ويبعد كثيراً عن عسقلان، حيث يذبح العرب الحجاج في الطريق، ويقرر أن الطريق الواقع من يافا إلى بيت المقدس، يمتد في منطقة ذات جبال صخرية فهو مخيف للغاية[15].

يقول الكاتب محمد مؤنس حول "الطريق من يافا إلى القدس" إن أهمية النص السابق الذي ذكره ذلك الرحالة، تتمثل في أنه يوضح صورة صادقة لطريق يافا - بيت المقدس وهو طريق على جانب كثير من الأهمية بالنسبة للمملكة الصليبية حينذاك. إذ أنه الممر الحيوي والرئيسي الذي سلكه الحجاج القادمون من أوروبا لزيارة الأماكن المقدسة لدى المسيحيين، ويلاحظ أنه خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الاستقرار الصليبي في المنطقة، لم يكن الصليبيون قد دعموا سيطرتهم على مناطق متعددة، ومن ثم قامت حركة

مقاومة من جانب المسلمين ضد عناصر الحجاج، ولا شك أنهم كانوا يقومون بدورهم في الجهاد ضد أعداء دينهم، خاصة أن من أولئك الحجاج من قدم عونه الحربي لخدمة الصليبيين في بلاد الشام"[16].

وقد أشار دانييل أثناء تواجده في الجليل إلى أن بلدوين الأول (1100-1118) كان يستعد لشن حملة حربية ضد الأعمال الدمشقية، واتخذ طريقه من بحيرة طبريا ، وقد رآه دانييل خلال سيره إلى هناك لحياه وطلب منه أن يوافق أن يرى الأماكن المسيحية المقدسة فوافق الملك الصليبي على مطلب دانييل وجعله في صحبته.

وتناول دانييل في رحلته الكثير من الموضوعات المتعلقة بالتاريخ الفلسطيني وتحدث أيضا حول موضوع علاقة دانبيل بالطقوس الدينية والاختلافات بين الطقوس الشرقية والغربية لدى الكنائس المختلفة.

لقد كتب الرحالة الأوروبيون عن "العرب" في مذكراتهم بأنهم أي "العرب" قراصنة، فإن توضيح الصورة ضرورة ملحة أرى فيها واجبي الوطني والعلمي كفلسطيني صاحب هذا البلد ومالك أرضه منذ آلاف السنين ، ولم أجد عنواناً للدفاع عن "العرب" سوى عنوان كتاب المؤرخ العربي الأصل أمين معلوف، وهو ذو جذور لبنانية، مسيحي عاش في باريس وكتب بالفرنسية التي قد يكون يعرفها السيد بروخوروف، وهو كتابه الصادر بالعربية مترجماً عن الفرنسية وهوLES CROISADES VUES PARLES ARABIB ونقله إلى العربية عفيف دمشقية، ويهدي معلوف كتابه إلى أندريه ولا نعرف من هو أندريه.

ولتوضيح الصورة التي كانت عليها أوضاع السكان العرب الأصليين عند احتلال القدس في 22 من شهر شعبان عام 492 هـ (15 تموز 1099) بعد حصار دام 40 يوما نورد ما جاء في تمهيد الكتاب (أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص 13،12،11).

لقد تناول المؤرخون العرب الذين عاصروا الحروب الصليبية التي عُرفت "بحروب الإفرنج" هذه الحملات بالتوثيق والتاريخ لهذه الغزوات. وأشهر من كتبوا في هذا التاريخ

الهام للحضارة ، ابن الأثير، وابن العديم، وابن واصل، والعماد الأصفهاني، والمقريزي، والقلقشندي، وابن تغري بردي، وبدر الدين العيني وغيرهم[17].

وهم لم يستخدموا مصطلحات مثل "الصليبيين" أو "الحملة الصليبية" أو "الحرب الصليبية" وإنما عرفوا هذه الأحداث الدامية من حروب بكلمات مثل "حركة الفرنج"، ووصفوهم دائماً بكلمة الفرنج على الرغم من أن الكثيرين من أولئك المؤرخين المسلمين كانوا يفرقون بين الألمان والإنجليز وغيرهم من شعوب أوروبا [18].

يقول البروفيسور خليل عثامنة في كتابه "دراسات مختارة من حقول التراث العربي الإسلامي "الصادر عن مجمع اللغة العربية في كلية القاسمي، حول وجود الفرنجة في فلسطين والاتفاقيات والتعاون والحروب التي نشأت بين المسلمين من جهة وقوات الإفرنج من جهة أخرى، وما رافق ذلك من طموحات غربية للسيطرة على الشرق الإسلامي وتحويل فلسطين إلى كيان مسيحي خال من سكانه المسلمين فيكتب " وعلى صعيد الحياة اليومية ظل رعايا دولة الفرنجة من المسلمين يمارسون حياتهم اليومية دون عراقيل جوهرية، فكانوا يخرجون إلى أعمالهم ويسيرون على الطرق جنبا إلى جنب مع الفرنجة في جو من الأمن والأمان، في أيام الحرب وأيام السلم على حد سواء، كما يشير إلى ذلك الرحالة الأندلسي "ابن جبير" وفي مكان آخر يتحدث بروفيسور عثامنة عن العلاقات الاجتماعية التي سادت بين الإفرنج والمسلمين، فيشير إلى ظاهرة الزواج المختلط التي سجلتها المصادر، لم تكن كثيرة إلا أن ما ذكر منها يكفي ليدل على وجود هذه الظاهرة، ؟ بل لعلها كانت من الانتشار والكثرة، بحيث تشكلت من الأبناء الذكور من نتاج هذا الزواج فرق عسكرية من الرماة ومن كتائب الفرسان عرفت باسم التركبولي (turcopoles) او (Poulains) كانوا في خدمة الفرسان الإسبارطيين.

مسيحية فلسطين في أدب تولستوي ودوستوفسكي والأدب الواقعي المسيح الفلسطيني المشرد

عذابات أبطال روايات دوسيوفسكي الواقعية.

لم تغب فلسطين والشرق عن أدب تولستوي ودوستيوفسكي، الذي اعتقد بالأرثوذكسية خلاصا للبشرية من عذاباتها، ورأى في السلافيين أمة مجيدة يجب أن تعمل على إنقاذ البشر من الشرور، وعرف تولستوي الشرق من خلال القرآن الكريم، ومن خلال الأحاديث النبوية الشريفة التي قام بالكتابة عنها بل بترجمتها للروسية من اللغات الأجنبية، لتكون مصدرا لتعليم الأبناء الروس الأخلاق والمذاهب التربوية الإسلامية التي تحث على العمل والاجتهاد "والتعلم ولو في الصين"

لقد كانت فلسطين في أدبيات وروايات ورسائل دوستيفسكي مادة حيوية، بل عنصرا أساسيا عقليا وعاطفيا وسياسيا، تعاطف معه وخاصة في بعض الأماكن المتفرقة وحتى من الممكن أن يكون ذلك شديدا، لا شك في أن هذا موجود فعلا ولا يمكن نفيه، ولكن يحدث عموما ليس بسبب كون الإنسان يهوديا وليس من منطلق كره.

لقد تأثر تولستوي وتشيخوف وغوغول بحكايات العرب وقصص القرآن الكريم، وقد كتب تولستوي "كنت أدرس البوذية ورسالة محمد من خلال الكتب، أما المسيحية فمن خلال الكتب والناس المحيطين بي" (19) الغمري ص، 206

لقد كتب الأدباء الروس إلى المفكرين العرب والمسلمين وهم يخاطبون المثقف الآخر المسلم باحترام وتقدير لديانتهم، فكتب ليو تولستوي باعتزاز واحترام إلى المفكر محمد عبده في خطاب تاريخي، يقول : "تلقيت خطابك الطيب المحمود للغاية وها أنذا أسارع إلى الرد عليه، كي أؤكد سعادتي الكبيرة بالخطاب الذي أتاح لي الاتصال برجل مستنير، رغم أنني أعتنق دينا غير دينك، وهو الدين الذي ولدت عليه لكنني واياك ديننا واحد، ذلك لأن الأديان كثيرة وهي تختلف، لكن يوجد دين واحد فقط : الإيمان الصادق. وأعتقد أنني لا أخطئ حين أعتقد أن الدين الذي أعتنقه هو نفسه الذي تعتنقه، وهو يتلخص في الاعتراف بالله وقانونه، وفي الحب للأقربين، وفي أن تتمنى للآخرين ما تمنى أن يصنعوه

من أجلك، وإنني أخال كل المبادئ الدينية الصادقة تنبع من هنا، ..) عن نص خطاب تولستوي إلى الإمام محمد عبده بتاريخ 13 مايو 1903 وقد نشرت الترجمة الروسية للخطاب لأول مرة عام 1920 في كتاب "صوت تولستوي والوحدة" وقد تناول الأستاذ سامح كريم الخطابات المتبادلة بين محمد عبده وتولستوي في الأهرام في صفحة(فكر وثقافة) (لسنة 1985 الأعداد 21،13،6،11،26، 12)

كتب الكاتب الفلسطيني الصحفي خريج المدارس الروسية ابن الناصرة للعلامة كراتشكوفسكي حول رسائل ومؤلفات تولستوي رسالة في تاريخ 9 يناير 1911 من القاهرة، جاء فيها "أيها الفاضل كتب لي أحد وجهاء المسلمين في بيروت كتابا قال فيه : أنه قرأ في إحدى جرائد بيروت أن الفيلسوف تولستوي ألف كتابا عنوانه" محمد " وطلب إلي أن أعربه، ويدفع لي قيمة طبع خمسين ألف نسخة وأنا لم اسمع بهذا المؤلف قط؛ فإذا كان موجودا أرجوكم أن تشتروه لي بأقرب فرصة تمكنون بها، فأكون لحضرتكم من الشاكرين، أنا منذ ستة أشهر أعرّب لجريدة يومية اسمها المحروسة تصدر في القاهرة كل يوم مقالة عن جريدة "روسكي سلوفا" الكلمة الروسية (أرشيف أكاديمية العلوم الروسية أرشيف كراتشكوفسكي ص:9 رسالة من عام 1911)

لقد قام فيما بعد الكاتب سليم قبعين بترجمة هذا الكتاب، وقد صدر كتابه بمقدمة تحدث فيها عن جرأة تولستوي ودفاعه عن الحق، فكتب في المقدمة "عرف قراء اللغة العربية ما اتصف به الكونت ليو تولستوي من الجرأة ودفاعه عن الحق الصريح دون أن يخشى لومة لائم، أو نقمة ناقم حتى كان يخاطب قيصر روسيا ورجال حكومته مبينا لهم حالة الرعية والبلاد وما تحتاجه من الإصلاحات التي غفلوا عنها، والواقف على نظام روسيا وأحكامها المطلقة لا يسعه إلا أن يعجب بتلك الشجاعة الأدبية الكامنة في جوانح الفيلسوف وعدم رهبته السلطة المطلقة".

رأى الفيلسوف تحامل المبشرين في قازان من أعمال روسيا على الدين الإسلامي، ونسبتهم إلى صاحب الشريعة الإسلامية أمورا تناقض الحقيقة، فصور الروسي تلك الديانة وأعمال صاحب تلك الشريعة بصورة غير صورتها الحقيقة، فهزته الغيرة على الحق إلى وضع رسالة صغيرة اختار فيها عدة أحاديث من أحاديث النبي محمد عليه الصلاة والسلام ذكرها بعد مقدمة جليلة الشأن واضحة البرهان وقال: هذه تعاليم صاحب الشريعة الاسلامية،

وهي عبارة عن حكم عالية ومواعظ سامية تقود الإنسان إلى سواء السبيل، ولا تقل في شيء عن تعاليم الديانة المسيحية، ووعد بأنه سيضع كتابا كبيرا يبحث فيه أبحاثا إضافية بعنوان محمد (كتاب حكم النبي محمد للفيلسوف تولستوي وشيء عن الإسلام نقلها إلى العربية سليم قبعين القاهرة 1987 الطبعة الثالثة).

لقد جاء نيقولاي فاسيليفتش غوغول الكاتب العظيم، صاحب المعطف إلى فلسطين عام 1848، كي يعرف مدى جفاف قلبه، وليكن على بصيرة من أن روحه لا تزال تسبّح باسم الرب، وكانت هذه الزيارة نقطة انعطاف في حياة الكاتب، إذ أنه بعد زيارته إلى فلسطين، وكان إنسانا متدينا جدا قام بحرق المؤلف الثاني أو الجزء الثاني من كتابه ومسرحيته "الأرواح الميتة" التي أحدثت انقلابا كبيرا في حياة روسيا الأدبية وفي رسالته إلى صديقه ف.أ جوكوفسكي في تاريخ 28 شباط موسكو 1849 كتب غوغول حول انطباعاته حول فلسطين :

"هأنذا أجلس لأرد على رسالتك بعد أن شعرت بالتحسن بعد المرض الذي لزمني أسبوعا ونصف.

صديقي! لقد طلبت مني أن أصف لك فلسطين، بكل أماكنها وألوانها بحيث تعود عليك بالفائدة، أتعلم أية مهمة صعبة ألقيتها علي؟ ماذا أقول بعد كل ما قاله الآخرون، أية ألوان وأوصاف أرسمها لك بعد أن وصفت وبعد كل ما كتب عنها، المسيح المنقذ، درب الآلام التي مر عبرها المسيح إلى الصليب، والتي أصبحت الآن كتلة من الصخر تحت سقف هيكل واحد.

القبر المقدس، القيامة والمكان الذي منه ظهر المخلص المنقذ للشعب، والمكان الموجود فيه باعث الحياة في الصليب، كل هذا وقع في مكان واحد. أية انطباعات قد تترك هذه الأماكن غير خداع من يشاهدها ويراقبها! إن لم تكن كل هذه الأماكن محفورة في ذاكرته وقلبه وإن لم تكن في عينيه وأفكاره في كل لحظة.

ماذا تستطيع أن تقول عن جبال فلسطين المتشابهة والشبيهة بأمواج رمادية لا نهاية لها تتماوج كأنها في البحر.

كل هذا كان..، ولكن الآن، فإنك تصادف أحيانا أو بالأحرى بشكل نادر عددا

من أشجار الزيتون لا يتجاوز الخمسة أو الستة في جميع منحدرات الجبال، أما لون التربة فهو رصاصي أو رمادي، كل الصخور الموجودة في نفس الجبال وإنك أحيانا تشاهد غشاء طحلب رقيق واحد فقط بشكل خاطف، وترى قطعة صغيرة من الأرض مخضرة بالحشائش في وسط هذه الأرض العارية الصخرية. وخلال سيرك ما يقارب الخمس أو الست ساعات تلتقي أحيانا بكوخ ملتصق بالجبل يسكنه عربي، يشبه القدر الخزفي أو الموقد أو كهف الوحوش الكاسرة، وفي وسط مثل هذه الصحراء تقع مدينة القدس، وبيت لحم، وجميع المدن الشرقية مجموعة من الأحجار الملقاة بلا نظام ولا تنسيق.

ماذا ستحكي لك وتقول لك هذه الأماكن ان لم تر أنت بعينيك المتأملة الحالمة النجوم فوق بيت لحم.

والحمائم فوق نهر الأردن إن لم تر بنفسك اليوم الفظيع.

يوم موت الصليب بظلمته الحالكة وعبوسه وزلازله.

ماذا ستحكي لك إن لم تر بنفسك.

يوم الأحد البهي الذي من شدة ضيائه ونوره سيحول كل ما يحيط حزينا وعابسا، حقا لا أعلم ولا أدري ما الذي أستطيع أن أحكيه لك عن فلسطين، كي تستيقظ أحاسيسك وشاعريتك لتأخذ قلمك وتكتب قصيدتك، وأعتقد أنه لو كان في مكاني أي إنسان بسيط حتى لو كان قد بقي في قلبه شيئ قريب من الإيمان لصلى وركع وذرف دمع عينيه على كل بقعة من الأرض المقدسة، وكتب لك أكثر مني.

قمت برحلتي إلى فلسطين تماما كي أعرف وأرى بنفسي وأحس كم هو كبير جفاف قلبي.

صديقي لقد جف ويبس قلبي، لقد أكرمني الرب أن أقضي ليلة كاملة عند قبر المسيح،لأحاكي الأسرار المقدسة ولكنني وعلى الرغم من هذا لم أصبح أفضل مما كنت عليه.

عندما كان من الواجب أن يحترق كل ما هو "دنيوي" وأن يبقى كل ما هو سماوي، ماذا ستعطيك انطباعاتي الحالمة؟! وكأني رأيتها في الحلم، وكأنني رأيت هذه

الأرض في الحلم؟! نهضت قبل أن تشرق الشمس، امتطينا البغال والخيول، يرافقنا أناس سائرون على الأقدام وأناس يركبون الخيول، سرنا بقافلة طويلة سرنا عبر الصحراء الصغيرة إلى جانب الشاطئ الرطب أو جوف البحر، وسرنا من جهة يغسل البحر بموجه الأملس حوافر الخيول.

في الظهيرة. ثمة بئر ومن حولها شجرة أو شجرتين من الزيتون والتين، هنا توقفنا لنستريح نصف ساعة ونواصل طريقنا من جديد، إلى أن يتحول لون الأفق المسائي الأزرق إلى اللون العسلي مع غروب الشمس، وإلى أن يظهر في الأفق خمس أو ست أشجار نخيل وإلى جانب هذه الشجيرات، وعبر ألوان قوس قزح تظهر من بعيد مدينة وكأنها رسم في لوحة سرعان ما تقترب منها تكتشف أنها مقبرة وقد تكون هذه صيدا أو صور، وعلى هذه الحال تبقى الطريق هكذا حتى القدس.

كما في الحلم أرى القدس من جبال القدس ، والتي من جهتها فقط تبدو المدينة جميلة واسعة وعظيمة، ترتفع المدينة مع جبالها وكأنها وسط صفيحة مرفوعة إلى أعلى وتظهر كلها بيوت صغيرة يخال لك أنها كبيرة وعلى سطوح هذه البيوت نتوءات بيضاء صغيرة تبدو وكأنها قباب لا عداد لها، تلامس جانب السماء الزرقاء والمآذن الطويلة الحادة، لتكون منظرا غير عادي أذكر أنني رأيت على جبال القدس آثار أقدام المسيح على شكل تقعر (تجوف) داخل حجر صلب.

وكأن هذا الحجر من شمع طري، تظهر عليه نتوءات صغيرة جدا، وما زلت أذكر المنظر الذي ظهر من أمامي أو كشف عن نفسه فجأة في وسط المرتفعات الرمادية، عندما سافرت من القدس وشاهدت أمرا واحدا، هضاب وهضاب ولم أنظر لأي شيء آخر، وفجأة إلى جانب هضبة رأيت في البعيد في أفق اللون الأزرق، جبالا عظيمة نصف دائرية، إنها جبال ساحرة شبيهة بخصر أو صحن مجوف كبير في قعر هذه الصحن البحر الميت.

لون خواصر هذا الصحن أزرق يميل إلى الأحمر، أما قعره فلونه أزرق يميل إلى الأخضر، لم أر من قبل جبالا كهذه بدون قمم وحادة الارتفاع.

نهاية الجبال تكون خطا مستقيما متشابها، وارتفاعا واحدا فوق البحر.

في هذه الجبال لم ألاحظ لا منحدرات ولا حدودا، كل هذه الجبال بانت وكأنها بلا عدد من الحواف التي هبت بألوانها المختلفة عبر الضباب بلونها الأزرق المائل إلى الحمرة، وهذا الإبداع البركاني المتكرس بالمتاريس بأشجاره الميتة غير المثمرة، تشع من بعيد بجمال لا يوصف، ليست هناك أية مناظر أخرى وروحي الحالمة لم تجلب مناظر أخرى من فلسطين.

هناك في السامرة قطفت زهرة، وفي الجليل زهرة أخرى، وفي الناصرة مكثت يومين بسبب الأمطار، ناسيا أنني موجود في هذه البلدة وكأن هذا الأمر حدث في روسيا في محطة ما، في مكان ما، وعلى كل شيء رأيت إشارات وعلامات تدل فقط على أن هذه البلاد العارية وخاصة جبال القدس (حاليا أكثر المناطق جفافا) كانت ذات يوم، وبحق، بلاد الحليب والعسل. في كل مكان رأيت مدرجات ونتوءات، إنها آثار حقول العنب القديمة، والآن يكفي فقط إلقاء حفنة من البذور فوق هذه الجبال العارية الحجرية، لتنبث مئات الأزهار والنباتات، فكم هي كثيرة الرطوبة الضرورية الموجودة في هذه الحجارة، وفقط في يافا توجد كمية كبيرة من الأشجار تتكسر أغصانها من كثرة ثمارها، تسحرك بجمالها."[20]

لقد قام علماء روسيا فيما بعد بالمجيء إلى فلسطين ليس فقط لمناجاة الروح، ولرؤية سبت النور والنور الإلهي الذي سيضيئ للبشرية ويظهر لها طريق الخلاص من الشرور كما لدى غوغول في رحلته الفلسطينية، بل جاء العالم كراتشكوفسكي ليكشف عن رسالة الغفران وأشعار المتنبي والصعاليك، ولينقب في خزائن مكتبات القدس والقاهرة وبيروت ودمشق عن روائع الفن والأدب العربي القديم والحديث، ليعرف القارئ الروسي على هذا التراث العظيم فيكتب " بدأ صيف 1914 إنني على وشك الانتهاء من بحثي العلمي عن رسالة أبي العلاء.

وهنا في لندن توجد قرب صالة هادئة صغيرة تابعة لمكتبة الجامعة غرفة تحتوي على مجموعة مخطوطات تعرف باسم (Legati Warneriani) صندوق وارنر التي كانت مشهورة بين المستعربين في القرن السابع عشر "كراتشكوفسكي مع المخطوطات العربية، دار التقدم موسكو) ويصف الكاتب الروسي ثيودوروف والذي زار فلسطين برفقة العلامة كراتشكوفسكي عام 1909 وكتب انطباعاته في المجلة الروسية "ريتش" وقامت مجلة النفائس العصرية عام 1911 بنقل ما كتبه ثيودوروف في مجلة النفائس العصرية وهو

يصف كما ذكرنا حالة العرب وحياتهم الثقافية في ذلك، والمقالة تحت عنوان "العرب" وقد كتب: "اجتمعت ببعض أدباء القدس في منزل الخواجا بندلي الجوزي أستاذ الآداب العربية في كلية قازان وكان معي الخواجا كراتشكوفسكي المستشرق الروسي، وكان قد جاء الشرق في مهمة علمية فأقام مع مصر وسوريا وفلسطين لهذه الغاية سنة ونصف، فأتقن اللغة العربية وتخلق بأخلاق العرب وعاداتهم، أما الأدباء الذين أشرت إليهم فهم: الأستاذ خليل السكاكيني، والشاعر الكاتب إسعاف النشاشيبي، والأرستقراطي من سلالة الفاتحين جميل الخالدي، وكان حديثنا بعضه بالفرنسية وبعضه بالإنجليزية وأكثره بالعربية ويتابع... إن السوريين هم جزء من الأمة العربية العظيمة المشهورة بعمرانها وتاريخها وشعرها، وهم الآن منحطون في العالم بسبب استبداد الحكومة السابقة بهم، ولغير ذلك من الأسباب التي لا حاجة إلى ذكرها".

الفصل الثاني

الأدب الفلسطيني والعربي
في عصر النهضة والتحرر الوطني

انتصرت الثورة البرجوازية التركية أو "ثورة الاتحاد والترقي" عام 1908. وعلى إثر انتصار هذه الثورة أعلن عن الدستور، ووضع هذا الدستور حدا للاستبداد الحميدي الذي كان سائدا في البلاد الواقعة تحت الحكم التركي. "ودشن انتصار هذه الثورة البرجوازية التركية مرحلة جديدة في حياة إمبراطورية السلطنة العثمانية التي تقلصت على نطاق واسع بالقياس إلى ما كانت عليه في عهدها الزاهر في القرن السادس عشر".

لقد كان لهذه الثورة وإعلان الدستور صدى واسع على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في فلسطين، فشمل جميع جوانب الحياة وخاصة النشاط الفكري منه.

وكتب بهذا الصدد الكاتب الفلسطيني خليل السكاكيني وهو يعبر عن فرحه ويستبشر خيراً بإعلان الدستور، فيقول في يومياته من تاريخ 1908/7/25: "قرأت اليوم في الجرائد العربية أن جلالة السلطان منح البلاد الدستور مما سررت له كثيراً واستبشرت به خيرا، الآن إذا رجعت إلى بلادي يكون رجوعي في محله، إذا صحت الأحلام كان المجال أمامي واسعا، الآن أستطيع أن أخدم بلادي، الآن أستطيع أن أنشئ مدرسة وجريدة وجمعيات للشباب، الآن نستطيع أن نرفع أصواتنا بدون حرج لينعم بالك يا سورية، صبرت فنلت مبتغاك، ليرتد الطامعون فينا خائبين ولتحيا سورية".[1]

انتشرت الصحف والمجلات وبدأت تنشط في فلسطين حركة أدبية وفكرية نشطة وبدأت تظهر أسماء كثيرة من الأدباء والشعراء، وصدرت خلال هذه الفترة أكثر من عشر صحف في القدس، وحيفا، ويافا، ولمعت أسماء أمثال حنا العيسى، وإسعاف النشاشيبي، وخليل السكاكيني، وخليل بيدس، وعبد الله مخلص، وسليم قبعين وغيرهم.

من الامتيازات التي قدمها الدستور حق الدول الأجنبية بحماية الرعايا المسيحيين في بلاد الشام وهكذا انتشرت المدارس والجمعيات التابعة للطوائف المختلفة في البلد، وأقامت الدول الأجنبية شبكة واسعة من المؤسسات المختلفة والتي عن طريقها حاولت بسط نفوذها، وتقوية تأثيرها على الحياة السياسية. وبالتالي للسيطرة على هذه الولايات بعد سقوط الدولة العثمانية (الرجل المريض) "فقد قامت في هذه البلاد مدارس أجنبية كثيرة- بسبب اهتمام الدول بالأراضي المقدسة- وكان بينها مدارس أمريكية وألمانية وإنجليزية وفرنسية وإيطالية وروسية، منها عدة معاهد ثانوية ومدرسة للمعلمين وأخرى

للمعلمات يديرها الروس ومدرسة للمعلمين يديرها الألمان، وكان عدد المدارس الألمانية في لواء القدس وحدها 15 مدرسة".

ولعل مدارس الجمعية الروسية الفلسطينية كانت من أنشط المدارس في فلسطين، وعلى الرغم أن نشاط هذه المدارس لم يستمر فترة طويلة، إلا أن تأثيرها على الحياة الثقافية في فلسطين وسوريا كان عميقا، وظل ملازما للمسيرة الثقافية لأبناء الشعب الفلسطيني، ولعب دورا بارزا في تشكيل مدرسة جديدة أدبية في العالم العربي، لم يعرف مثله أدباء العرب والأدب العربي من قبل، فقد زودت هذه المدارس طلابها وخريجيها بمعارف واسعة باللغة العربية والروسية"، غير أن تأثير هذه المدارس الأجنبية لم يكن ينحصر في الطلاب الذين ينتمون إليها ويدرسون فيها، بل أنه كثيراً ما كان يتعدى ذلك إلى مدارس الجامعات (الطوائف) نفسها، لأن هذه المدارس الأجنبية كانت تزود تلك المدارس الطائفية بالكهنة والمعلمين والكتب المدرسية، وكانت تواصل التأثير إلى درجة توجيه مناهج الدروس وأساليب التدريس المتبعة فيه أيضا

لقد فتحت معرفة خريجي المدارس الروسية باللغة الروسية كنوزاً، وكانت تعيش روسيا في ذلك الوقت حياة فكرية نشيطة، وعرفت أحداثا سياسية كان لها كبير الأثر على التطور التاريخي لكل أقطار العالم، وعاشت روسيا آنذاك حياة أدبية غنية، ولمعت أسماء في الشعر والنثر أمثال تشيخوف كاتب القصة، الشهير والفيلسوف الكاتب ليرمنتوف صاحب "بطل من هذا الزمان" وغيرهم كثيرين وكان لتعرف أبناء اللغة العربية على الأدب الروسي أثر عميق في نفوسهم، ترك بصماته على كل من ربط حياته بالعمل الصحفي والأدبي منهم، فشتان ما بين ما كان ينشر في العالم الغربي، وما كان ينشر في الصحف والمجلات ودور النشر الروسية.

كتب ميخائيل نعيمة "ما أن تمكنت إلى حد ما، من قواعد اللغة الروسية وحفظت قسطا لا بأس به من مفرداتها حتى انطلقت أطالع في المجلات الروسية التي كانت تصلنا وأقتحم كتابا من عيار دوستويفسكي وتولستوي. وأذكر أنني حاولت مرة قراءة "الجريمة والعقاب" فكنت أشعر كمن ينقب على كنز عظيم وليست له العدة الكافية للتنقيب، وهكذا تركت الرواية من بعد أن أتيت على آخرها، وبي ما يشبه الحنق على نفسي لأنني ما استطعت أن أفهم كل ما فيها وأسبر أغوارها، لقد قام بيني وبين الكنز حاجز من اللغة كان لابد لي من تخطيه"[2].

لقد عاش ميخائيل نعيمة مكرسا كل جهده للكتابة الأدبية، وقد ترك للأدب والفكر العربي الكثير من الأعمال النقدية التي كان لها الأثر الكبير على الأدب العربي، لقد فتح الأدب الروسي عيون نعيمة على واقع الأدب العربي وحياة الفكر العربي، فهو يقول: "إلا أن مطالعاتي الروسية، لم تلبث أن أثارت إعجابي بالأدب الروسي، وحسرتي على الأدب العربي بالنسبة إليه، فقد تكشف لي فقرنا إلى أدب ينبع مع الحياة وأدباء لا يتلهون بالقشور عن اللباب، ومن بعد أن كنت أحسد الكثير من أدبائنا وشعرائنا الحرفيين في ذلك الزمان، وأتمنى لو أكون كواحد منهم، بت أخجل بهم وأتمنى لو أستطيع أن أكتب كما يكتب هؤلاء الروس"[3].

لقد اختلف الدارسون حول مدى تأثير المدارس الأجنبية على الأدب والفكر الفلسطيني، وتضاربت الآراء حول الآثار الإيجابية والسلبية للمدارس الأجنبية التي انتشرت في أنحاء سوريا وفلسطين في القرن التاسع عشر، فعلى الرغم من إقامة المؤسسات العلمية والطبية التابعة للدول الأجنبية لم يكن نابعا من خلال تقديم المساعدة للشعوب الواقعة تحت نير الاستعمار، بل جاءت على العكس من ذلك لتثبت أقدام الدول الطامعة بمنطقتنا، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر الدور الذي لعبته والآثار التي تركتها في تشكيل حياة فكرية وأدبية في البلاد التي نشطت فيها هذه المؤسسات.

كتب المؤرخ إميل توما: "وفعلا انتشرت هذه المدارس في لبنان وفلسطين، ولكنها على الرغم من أنها زودت الطلاب بالمعرفة الأدبية والعلمية، إلا أنها قامت في الأساس لتساند زحف الدول الكولونيالية- الإمبريالية على المنطقة العربية، بل إن المؤشرات تؤكد أن القيمين على هذه المدارس نشروا التعصب الطائفي بين المسيحيين، وكان همهم وهاجسهم تحريض أولئك المسيحيين على الانفصال عن التيار العربي الثوري والميل إلى دولهم الإمبريالية"[4]، ولا تختلف الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية- الفلسطينية في نشاطها عن بقية الجمعيات التبشيرية التي نشطت تحت شعارات دينية في "البلاد المقدسة"، وقد أوضح هذه المسألة الكاتبان د. مصطفى الخالدي ود. عمر فروخ في كتابهما "التبشير والاستعمار في البلاد العربية".[5]

لقد كرست الجمعية الروسية- الفلسطينية كثيرا من جهدها لنشاطها الثقافي والتعليمي في فلسطين، ويشهد على ذلك العدد الكبير من المدارس التي افتتحتها الجمعية في المدن

والقرى الفلسطينية، فحتى عام 1924 وصل عدد المدارس في المنطقة إلى أكثر من مائة مدرسة تعلم فيها أكثر من عشرة آلاف تلميذ وتلميذة، وأحرزت الجمعية نجاحات كبيرة في هذا المضمار، ونجحت الجمعية في تجنيد خيرة المربين الروس وعلماء الاستعراب في استغلال معارفهم العلمية في رسم خططها وبرامجها الثقافية في الشرق، الأمر الذي أثر كبير الأثر على مستوى المؤسسات التعليمية الروسية ورفع من شأنها بالمقارنة مع بقية المؤسسات الغربية التي كانت في المنطقة، ويؤكد ذلك العلامة كراتشكوفسكي الذي كتب:

"وكثيرا ما كانت المبادئ التربوية للمدارس الروسية في فلسطين وسوريا أعلى مما لدى المؤسسات التبشيرية المختلفة لغرب أوروبا وأمريكا على الرغم من جودة تجهيز هذه المؤسسات"[6].

وقد كرست الجمعية للنشاط الثقافي الأموال الكثيرة، وكان ذلك سببا في تشعب نشاطها الثقافي في جميع أنحاء سوريا، وكتب المؤرخ الأمريكي ستاورا جيورجي بهذا الصدد.

ولا شك أن هذا العدد الكبير من التلاميذ درسوا في مدارس الجمعية الروسية في "السمينار" الذي أقيم في الناصرة وبيت جالا، والنشاط التعليمي والصحفي الذي مارسوه بعد تخرجهم من هذه المدارس كان له الأثر الكبير على تنشيط الحياة الفكرية والثقافية في فلسطين"[7]، وليس من قبيل الصدف أن يعتبر الدكتور ناصر الدين الأسد الكاتب الفلسطيني خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين والأردن فكتب:

"رائد القصة الحديثة في فلسطين هو -بلا منازع- خليل بيدس ولسنا نعني بالريادة هنا أن خليل بيدس كان أول من كتب القصة في هذا البلد ولا أنه ابتدأ هذا الفن ابتداءً على غير مثال دون أن تسبقه جهود تمهد له وتنتهي إليه، فذلك أمر مخالف لطبيعة الأشياء"[8].

ومن الطبيعي أن يتوصل الأسد إلى مثل هذا الاستنتاج اعتمادا على النتاج الغزير الذي نشره بيدس في مجلته "النفائس العصرية"، والتي تعتبر إحدى أرقى المجلات التي كانت تصدر آنذاك في فلسطين، فعن طريق هذه المجلات والصحف والنشرات التي كان يصدرها خريجو "السمينار" الروسي تعرف قراء العربية على أعمال العظماء الروس أمثال:

ليف تولتسوي، ودوستويفسكي، وتشيخوف وغيرهم، وبذلك تعرف العرب على لون جديد من الأدب وعلى مدرسة جديدة وعلى أفكار جديدة لم تكن معروفة من قبل، بل كانت من الممنوعات والمحرمات.

ولم يقتصر نشاط هؤلاء الخريجين على الكتابة فحسب، بل شمل أيضا تأسيس الجمعيات الثقافية التي جمعت أيضا رجال الفكر والعلم والأدب في حلقات ودوائر، كان لنشاطها أثر كبير على حياة فلسطين الثقافية، فقد سعى هؤلاء وهم مدركون لمدى الانحطاط الذي وصل إليه فكرهم وأدبهم من الثقافة والعلم سواء، بضرورة النهوض بها من كبوتها"[9].

وكثيرا ما كان يتعرض هؤلاء المثقفون إلى ملاحقة السلطات الحاكمة، وتعرض كثير منهم للسجن أو للطرد من البلاد كما حدث في العديد من المرات للمؤرخ بندلي الجوزي الذي منع أثناء زيارته الأولى من القيام بأي نشاط اجتماعي بين أبناء شعبه، ومن ثم تبعتها السلطات الإنجليزية ولاحقته على أفكاره ومبادئه التي حملها، والداعية إلى التحرر من نير الاستعمار، والنهوض بالبلاد، ومنهم اضطر للهجرة إلى البلدان العربية المجاورة ومزاولة النشاط الأدبي والثقافي من تلك الأقطار، فقد أصدر سليم قبعين مجلته "الإخاء" من مصر، وقضى سنوات عديدة في القاهرة، وكان ذلك سببا كافيا لإضعاف الحركة الأدبية الفلسطينية، فترجمة أفكار ليف تولستوي الداعية لتحرير الفلاحين من العبودية وأغلال الإقطاع كانت تشكل خطرا كبيرا على خطط الاستعمار الذي سعى إلى تكريس واقع الظلم والاستبداد الإقطاعي.

كتب الباحث د. خليل محمد سالم وهو يترجم لحياة اسكندر خوري البتجالي، "كان اطلاعه على الثقافة الروسية عندما درس اللغة الروسية لبضع سنين في مدرسة المعلمين الروسية في الناصرة، ودرس آدابها والتاريخ الروسي فأتيح له الاطلاع على أعلام الفكر في روسيا وكان هذا الاطلاع عونا له في ترجمة حياة "بوشكين" شاعر روسيا الكبير إلى العربية عندما كان طالبا في الكلية البطريركية في بيروت، وزادت صلة اسكندر بالثقافة الروسية فيما بعد، لوجود أخويه الكبيرين في روسيا ولزواجه من فتاة روسية، ومن ينظر في آثار اسكندر الشعرية أو النثرية يجد آثار الثقافة الروسية واضحة فهو متأثر "بليو تولستوي" في روايته "الحياة بعد الموت" في استعمال الأسلوب المباشر[10]

ويكتب ميخائيل نعيمة عن مدى تأثره وتعلقه بالأدب الروسي، فيقول في "أبعد

من موسكو ومن واشنطن" وفي كتابات تولستوي عرفت كيف يهدر الدم الروسي أنهارا في سبيل الدفاع عن أرضه وأي الآلام الجهنمية، هي الآلام التي تجرها الحرب، وعرفوا كذلك نزعة الروح الروسية إلى السلم والصفح والمحبة وعدم مقابلة الشر بالشر،... ويتابع... وأما غوركي فقد سلط أمام ذهني أنواراً كاشفة على زوايا مظلمة من الحياة الروسية حياة المشردين والمحرومين والناقمين على نظام يعيشون في ظله بل على كل نظام.

إنهم المنسيون الساكنون "في القاع" تسير مواكب الحياة من فوقهم شاعرة بوجودهم، فكأنهم الغبار العالق بأذيالها، أو النفايات المطروحة في قواذيرها.

وماذا أقول في تشيخوف - سيد القصاصين الروس وغير الروس وفي تصويره الدقيق لجميع نواحي الروس بكل ما فيها من تفاؤل وتشاؤم، وانبساط وانقباض، وثروات وثورات؟"[11].

الصراع بين القديم والجديد

إن رسائل الأدباء العرب وخاصة الفلسطينيين، توضح مدى الغليان الشعبي الذي كانت تعيشه الأمة العربية ونضال المثقف العربي ضد الاستبداد، والبحث عن الجديد الثوري الذي يساعد على إزالة الظلم عن كاهل جماهير الأمة العربية والشعب الفلسطيني وقد أخذت هذه المواضيع حيزا كبيرا في نتاج هؤلاء الرواد المبدعين،

فتحول شعرهما إلى قصيدة تحرض على مقاومة الاستعمار ودعوة للتحرر وقاتلة المستبدين من الإقطاعيين العرب وتحول الشعر العربي إلى ثورة على القافية وعلى اللغة الحجرية ودعوة للتحرر من كل إشكال القديم.

لقد توجه الأدباء العرب إلى جميع المذاهب والمدارس الأدبية، لكنهم وجهوا اهتمامهم بالأساس لأهم ما تعاني منه الأمة من ظلم واضطهاد في مختلف نواحي الحياة. فكتب سلامة موسى "ان العلم قد علمنا وما يزال يعلمنا لفهم الرومانسية الجديدة ويجب علينا أن لا ننسى على الإطلاق الواقع القائم المظلم، والفقر المدقع والأمراض والأوبئة، أما يحي حقي فقد كتب عن أثر الأدب الروسي على إحداث ثورة أدبية تحررية في العالم

العربي، قائلا "إنني أكون محقا وبشكل قطعي إذا قلت بأن نتاج جميع الكتّاب العرب المحدثين يتعلق وبشكل وثيق بالأدب الروسي - صاحب التأثير الأكبر عليهم جميعا." [12]

رواية الوارث لخليل بيدس
ومقاومة الاستيطان الصهيوني والهجرة اليهودية إلى فلسطين

لقد ألف بيدس ثلاثة عشر كتاباً عدا ما ألفه للمناهج الدراسية، وبلغ مجموع ما ألفه وترجمه من كتب أربعة وأربعين كتاباً، ضاع منها ست مخطوطات من بينها مجموعاته القصصية الثلاث، وحديث السجون، ومعجم عربي كبير وجملة مقالاته في الأهرام والمقطم، وصحف مصرية أخرى إضافة إلى أحاديثه الإذاعية التي جمعها، وكان يعتزم إصدارها بعنوان (نحن واللغة)، من آثاره ما نقله من الروسية إلى العربية منها أهوال الاستبداد لتولستوي، وابنة القبطان لبوشكين وغيرها.

ومن مؤلفاته: تاريخ روسيا القديم، العقد الثمين في تربية البنين، ومرآة المعلمين، ورحلة إلى سيناء، وتسريح الأبصار فيما تحتويه بلادنا من الآثار وغيرها.

ومن كتبه المدرسية: درجات الحساب جزءان ودرجات القراءة: ستة أجزاء والكافي في الصرف.

وقد عني خليل بيدس عناية كبيرة بالقصة ويكاد كل عدد من أعداد مجلة «النفائس العصرية» يشمل على قصة واحدة على الأقل من ترجمته أو وضعه.

ويعد - رحمه الله - رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين بلا منازع، وبعد النكبة، عام 1948، نزل خليل بيروت، وتوفي فيها سنة 1949.

ويسند لخليل بيدس فضل كتابة أوّل رواية فلسطينية معروفة، هي رواية الوارث التي ظهرت في القدس سنة 1920، وقد كتب بيدس أيضاً قصصاً قصيرة ونشر أوّل مجموعة منها بعنوان (آفاق الفكر)، في القاهرة سنة 1924، ويعدّ خليل بيدس بحقّ أبا القصة الفلسطينية ، بسبب تعدّد أوجه نشاطه في الترويج لها، تصوّر رواية الوارث حياة شاب من عائلة سورية تشتغل بالتجارة هاجرت إلى مصر، وهناك يقع الشاب في حبّ راقصة يهودية تصوّرها الرواية على أنها مصّاصة دماء، ويساعدها في ابتزاز الأموال من الشاب نفر من

بني جلدتها، فيقع في حبائلهم ويغرق في ديون طائلة، ولا ينقذه من المرض والإفلاس إلاّ عودته إلى العمل وإلى كنف العائلة والحياة الطبيعية. إن هذه الرواية تتناول الخطر الحقيقي الذي كان يتهدّد المجتمع الفلسطيني في أواخر العقد الثاني من القرن العشرين - أي مباشرة بعد أن كُشف عن وعد بلفور وبدأت الهجرة اليهوديّة المنظّمة إلى فلسطين - بل إنها تقدّم أيضا نظرة تحقير لليهود كانت سائدة في الأدب العالمي على شاكلة شايلوك شكسبير، فتصوّرهم جشعين لا يتورّعون عن ارتكاب الفظائع للحصول على المال، كان المؤلف قد قصد حقاً أن يحذّر أبناء شعبه الفلسطينيين ضد خطط اليهود للاستيلاء على أجزاء من وطنه، فإنه عالج المسألة معالجة غير مباشرة، ولذا كانت عديمة التأثير، فجعل الشخصيات سورية والمكان مصرياً، وركّز على الأخلاقيات الموروثة والنظرة التقليدية، وضع يده على الأبعاد الحقيقة للحركة الصهيونية وما تنطوي عليه هذه الحركة بالنسبة للفلسطينيين.

كفاحه السياسي

أثناء إقامته في القدس عضواً في المجلس المختلط، كتب خليل بيدس عدة مقالات نشرها في الأهرام والمقطم المصريتان يطالب فها الأتراك بإنصاف العرب، وعند قيام الثورة العربية الكبرى عام1916م ضد الحكم التركي حكم عليه بالإعدام، ولكنه اختبأ في البطريركية الأرثوذكسية في القدس في عهد البطريرك دميانوس الأول، فحماه وأنقذه من حكم المشنقة، ولاذ بالصمت حتى دخل البريطانيون فلسطين غزاة مستعمرين سنة 1918.

وفي عام 1921 قاد بيدس أول مظاهرة عربية في بيت المقدس بمناسبة موسم النبي موسى، وخطب في الجماهير حاضّاً على الثورة للإجهاز على وعد بلفور، فاندفعت الجماهير متأثرة بكلامه في انتفاضة ضد المهاجرين اليهود، فألقت القوات البريطانية القبض عليه وحكم عليه بالإعدام، ولكن المظاهرات التي اندلعت في مدن فلسطين أجبرت البريطانيين على تبديل الحكم إلى السجن خمسة عشر عاماً، وأودع سجن عكا قضى خلالها أربعة أشهر في كتابة كتابه (حديث السجون) وصف فيه السجن والأساليب الوحشية التي يعامل بها المستعمر المثقفين والثوار مساويا إياهم بالمجرمين وقطاع الطرق، وللأسف ظل هذا الكتاب مخطوطاً ولم يطبع، وضاع ضمن ما ضاع من فلسطين وكتبها عام النكبة، وقد أفرج عن بيدس بعد أربعة أشهر من السجن بعفو أصدره هيربرت صموئيل يوم جاء كأول مندوب سام لبريطانيا، حيث عفا عن المحكومين في محاولة منه للتقرب لأهالي البلاد.

أيامه الأخيرة

عندما وقعت النكبة على فلسطين، تمسك بيدس بالإقامة في بيته في البقعة الفوقا في القدس بين كتبه وأوراقه، رافضا وهو الرجل الذي جاوز السبعين مغادرة الدار مع أولاده، وبعد أن دخل الصهاينة الحي العربي وقد خلا من الحماة والمدافعين أخذوا في ارتكاب المجازر والقتل الوحشي، فبارح منزله طلبا للنجاة، وسار على قدميه في طرق وعرة شائكة، حتى وصل إلى سلوان قرب القدس حيث أغمي عليه، فاعتنى به أهل البلدة حتى استعاد بعضا من عافيته، ودبروا انتقاله إلى عمان فبلغها منهكا، وبعد أيام سافر إلى بيروت ملتحقا بأولاده، وفي التاسع من شباط عام1949توفي فيها والحسرة تملأ قلبه، ليموت أحد رواد النهضة الثقافية في فلسطين في القرن العشرين.

الوارث وتأثير الكاتب الروسي دوستيفسكي وروايتيه مذكرات من بيت الموتى و المقامر

لا شك أن إطلاع بيدس على روايات الأديب الكبير الروسي فيدور دوستيفسكي قد مكنه من الخوض في شخصية اليهودي التي أصبحت تهدد كيان بيدس الوجودي، من خلال ما أعلنته الحركة الصهيونية عن إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، وقد نهض المثقف الفلسطيني من جميع الطوائف والأحزاب لمقاومة هذا المد والاستيطان الصهيوني اليهودي الذي بدأ مع إعلان، وقبل ذلك، الانتداب الانجليزي على فلسطين، وصدور وعد بلفور المشئوم الذي كان بداية لمأساة خليل بيدس الشخصية وتهجيره من بيته في القدس. وإشعال النار في الوطن الفلسطيني بسلسلة من المذابح والمجازر التي اقترفتها القوات الصهيونية في فلسطين في دير ياسين وكفر قاسم والطنطورة وغزة. لقد استطاع خليل بيدس من رؤية الكارثة التي ستلحقها هذه الشخصية اليهودية التي جاءت لترث الأرض عنوة وبهتانا وبطرق ملتوية وخداع لكل أبناء الأمم. ومثلما نبه دوستويفسكي الشعب الروسي في رده على قارئ يهودي، احتج على استعمال الكاتب الروسي دوستيفسكي كلمة جيد يهودي في روايته بيت الموتى مصور اليهودي في هذه الرواية بحبه للمال والادخار للقيام بكل الصفقات الممكنة حتى في سجنه في المنفى،

العامية تدخل إلى الحوار في قصص الأدباء العرب

بين "العم متولي" و "الشيخ جمعة" ومحمود تيمور والعم فانيا تشيخوف

في رسالته المؤرخة في 25 اكتوبر من الإسكندرية يكتب محمود تيمور إلى المستشرق كراتشكوفسكي معبرا له عما يفكر به في شأن استعمال العامية في قصصه الجديدة، وما لقيه من انتقادات من تيار المحافظين الذين رأوا بذلك انتقاصا من اللغة العربية وتدميرا لها. ويشكر تيمور صديقه المستشرق كراتشكوفسكي على تشجيعه له لاستعماله العامية في كتابه الثاني "العم متولي" مؤكدا أن النهضة الأدبية واهتمام كراتشكوفسكي بهذه النهضة محفزا له للاستمرار في استعمال العامية في لغة الحوار القصصي، بالرغم من تزمت وجمود كثير من أدبائنا الذين يرون في استعمال اللغة العامية مهاجمة للغة العربية وحطّا من شأنها[13]، (رسالة -25 أكتوبر 1925 أرشيف رقم 1026 مكتبة أكاديمية العلوم الروسية سانت بطرسبورغ ملف كراتشكوفسكي) ويشير محمود تيمور بهذا الشان في رسالته أنه اهتمام كراتشكوفسكي قد شجعه "على تعميم اللغة العامية في الحوار في جميع ما سأكتبه" (نفس المصدر)، ونورد نص الرسالة كاملة لأهميتها :

سيدي الأستاذ الجليل

أتممت بمزيد من السرور والابتهاج مع الشكر الوافر الذي لا يحد خطابكم الكريم الذي أطلتم فيه الحديث عن كتابي الثاني "عم متولي" إطالة برهنت لي برهانا قاطعا على اهتمامكم الشديد بأمر نهضتنا الأدبية* الحاضرة وبالأخص مؤلفي الوضيع الذي شملتموه بالتفاتكم السامي حتى عددت ذلك فخرا كبيرا لي لا أدري كيف أشكركم عليه.

ملاحظتكم يا سيدي الأستاذ في غاية الإصابة. وما منعني وغل يدي عن استعمال لغة الحوار العامية التي أعتبرها لازمة للقصص والأقاصيص المؤسسة على المذهب الواقعي إلى جمود كثير من أدبائنا وقرائنا الذين يرون في استعمال اللغة العامية مهاجمة للغة العربي وحطا من شأنها ؟ وإني مع ازدرائي لهذه الفئة الجامدة الرجعية رأيت أولا أن أبدأ بتعميم هذه الطريقة شيئا فشيئا، لا طفرة واحدة ليتعود الجمهور عليها. ولكني صممت الآن أن

أعمم العامية في الحوار في جميع ما سأكتبه في المستقبل وكفى تجربتي الأولى في كتابي :

"الشيخ جمعة" و "عم متولي"، وسأجتهد يا سيدي الفاضل باتباع رأيكم في كتابة قصص عن مصر الفتية بأبنائها الجدد وأرائهم الحديثة، وأملي في تحقيق ذلك كبير. حسبي أن يكون طلبكم الكريم نصب عيني دائما ليحثني على تحقيق هذه الأمنية.

أما شكركم يا أستاذي عن الكتب الذي قدمتها لكم هدية فهو كثير للغاية عن شيء صغير جدا. وإني لم افعل ذلك إلا بدافع الإخلاص الشديد لكم وخدمة للأدب العربي الذي تخدمونه بأبحاثكم الجليلة، وعلمكم الغزير فترفعون منارة في بلادكم العظيمة. ولا أجد فيما فعلته للآن شيئا يستحق الذكر. وقد عاهدت نفسي أن أرسل لكم كل طريف مستجد من المؤلفات القصصية لجماعة النهضة الحديثة* وما يهمكم من أمثالها، وفي بعض هذا الدين الذي أشعر بأن الأمة المصرية خاصة والعربية عامة مدينة لكم به. وثق يا سيدي الأستاذ بأني شعرت باغتباط لا يساويه اغتباط آخر كلما استطعت أن أرسل لكم شيئا ترتاحون لمطالعته، (الأرشيف ص، 7-8)

التأثير الروسي والواقعية:

وصلت الواقعية في القصة والرواية العربية الى فلسطين بعد ان قام رواد الادب الفلسطيني ممن برعوا في ترجمة الادب الروسي الى العربية ومن اللغة الروسية لغة الام ،ويعود الفضل الى خليل بيدس وسليم قبعين ومجلته الاخاء في تعريف الادباء العرب امثال جرجي زيدان وطه حسين ، وحمود تيمور في تعريفهم بادب عظماء روسيا امثال تيشخوف اب القصة القصيرة ودوستيفسكي اب الرواية العالمية ،كما نتاج الشعار مايكوفسكي فلاديمر وسيرجي يسينين الرومانسي الثوري قد اصبحت محل اعجاب معظم شعراء العالم العربي بعد اجتياح الثورات معظم ربوع العالم العربي .

إن أهم عناصر التغيير في الأدب السوفيتي الحديث قد تأثر بفعل الثورة البلشفية، التي جعلت من البطل جسدا واقعيا، فالصفة العامة للبطل السوفيتي الواقعي التفاؤل والإيجابية وعدم اليأس من الخير عند الفرد والمجتمع، وهذه التفسيرات تزعم أنها لا تملي على الواقع شيئا، ويذكر د.مندور لقاءه مع الكاتب الروسي سيمونوف، و يوضح في هذا اللقاء

الأيدلوجية الماركسية في الخلق الفني أن ما نسميه واقعا ليس إلا صورة ذهنية لدينا عن الحياة، ولما كانت هذه الصورة ملكًا فنحن نستطيع ان نلونها باللون الذي نريده، والذي فيه مصلحة لأنفسنا ومجتمعنا، ونحن لنقاوم عوامل الشر واليأس والتشاؤم بخاصة بعد أن نجحت الثورة الاشتراكية الكبرى.[14]

أما عن خصائص الواقعية عند سيمونوف كما يقول مندور هي أدب هادف إلى تغليب عامل الخير والثقة بالإنسان، وقدرته، وهي إن كانت تتخذ من مضمونها من حياة عامة الشعب ومشاكلها، إلى أن روحها روح متفائلة تؤمن بإيجابية الإنسان وقدرته على أن يصنع الخير ويضحى بسبيله كل شيء.

إن أهم موضوع يتناوله الأدب الروسي والأوروبي في القرن 19 يعكس علاقة الفرد بالمجتمع، وهي علاقة تقوم على المعارضة لانعدام الثقة وإحساسه الفرد بضغوط المجتمع.

الواقعية الأوروبية التي ظهرت علاماتها في منتصف القرن 18، كانت محصلة أراء جديدة في الفلسفة وتأثير المخترعات وانتقال مركز الثقل الاجتماعي والسياسي إلى طبقات جديدة وبرزت بالأخص إبان الثورة الفرنسية.

Belinsky أحد مؤسسي الواقعية في الأدب الروسي الذي تأثر به الرواة العرب أينما تواجدوا يقول : (إن الطبقة هي النسخة الدائمة الملهمة للفن، والإنسان هو أنبل وأعظم كائن في الوجود، أوليس الفلاح الروسي إنسانا، والشيء الملفت للإنتباه في الفلاح روحه وعقله ومشاعره وميوله ويعترف بأصالة الطبيعة).

في القرن 19 دعا تور جنيف في أول أعماله (ذاكرة الرجل الرياضي) إلى تحرير الفلاحين وإنصافهم : وهو ما سار عليه تولستوي. وصور تور جنيف الصدام التقليدي بين الجيل الصاعد والحديث والقديم، الأدب الروسي تأثر من الواقع الموجود ، وعالج قضية الفلاح الروسي الموجود والاجتماعي.

من هنا نقول إن الرواية العربية تأثرت بالأدب الواقعي الروسي، والواقعية أول أصالتها ونشأتها، بدأت في روسيا، روسيا هي المنبع والأصل للواقعية، وهذه الثورة أثرت على إحداث ثورة أدبية تحررية في العالم العربي،

الواقعية قبل أن تظهر على صورة تعبير أدبي، خاضت معارك عديدة، كما لاحظنا مما سبق إذ تأثرت بالرواية الروسية وما حدث من ثورة هناك، كذلك التأثر بالأدباء الروس والحملة الفرنسية وهذه الفترة هي بداية النهضة الحديثة.

رفاعة الطهطاوي أول المجددين الذين تأثروا بفرنسا، والرواية كفن ظهرت تقريبا في منتصف القرن 18، مثال ريتشارد سون (أميلا) اتسم برداءة الأسلوب، بالرغم من الاتصال بالأوروبيين والفرنسيين، إلا ان الأدب الواقعي تأخر، والطهطاوي كتب (تخليص الابريز).

كذلك هيكل وأبناء جيله قد شقوا الطريق للدخول إلى مجال الأدب بدلا من عالم البطولات الأسطورية الموهومة إلى الواقع، وفتحوا المجال لأبطال عاديين من البشر.

كذلك كتّاب المقامات الحديثة لفتوا الانتباه إلى الحياة المصرية، و رفضوا الاعتماد على الحكاية الشعبية وعجز الكتّاب عن تطويع رموزها للتعبير عن عصرهم، فكان اتجاههم للواقع الاجتماعي العام مع نزعة هجائية تختلف اتجاها، ووحدة حسب طبائع هؤلاء الكتّاب وثقافتهم، هذا الجيل يمثله (هيكل ولطفي وجمعة والمويلحي وحافظ ابراهيم وظاهر حقي)، تأثروا بالرواية الإنجليزية في منتصف القرن 18 ثم جاءت الثورة المصرية عام 1919 لتؤكد دور الطبقة الوسطى في بناء الأمة، وظهرت المدرسة الحديثة رافقه شعار العصرية المصرية، وصورة الواقعية المصرية في الحركة الروائية باتجاهها نحو الطبقة الشعبية وعطفها على المهضومين اجتماعيا، وكشفها عن أسس جمالية اللغة لا تمثل في جزالة العبارة ونفخامة الأسلوب وقد ساندتها مدرسة الديوان النقدية، بدعوتها إلى الصدق الفني ورفضها للشكل الفني القائم على العضوية والاستطراد واللغة المصنوعة التي لا تبنى على إحساس صادق والحركة الواقعية الأولى تمثلها المدرسة الحديثة.

الواقعية العربية تلمست أسسها النظرية من الأدب الروسي والفرنسي والأوروبي والإنجليزي، فتأثر الرواة العرب إبراز المجتمع ومشكلاته بالتأثر من جوجول ودستويفكي وتشيكوف وتولستوي، بالطبع تأثرت الرواية العربية بالأدب الروسي بالذات بالنظرة التشاؤمية، لأن دواعي الحياة المصرية دفعت الكتّاب إلى هذا الموقف الذي رأيناه واضحا في قصص تيمور ولاشين وزكي مخلوف وعادل كامل ومحفوظ وليس من المصادفة.

ثورة 1919 إضطراب للحياة المصرية (فقر، جهل، مرض) مع أنه كانت توجد روح تفاؤل في عودة الروح والأيام ، ودعاء الكروان، إلا أن النغمة غالبة التشاؤم بسبب الاحباط.

تأثر نجيب محفوظ بطه حسين في بعض أوجهه، ويوسف إدريس وفتحي غانم والشرقاوي نظرتهم المتفائلة اتجهت نحو الماضي، يأخذون من الماضي الشخصية أو الحادثة التي تعبر عن إيمانهم بالمستقبل، مثلا دعاء الكروان وقضية الأجيال يعترف محفوظ بالتأثير باتجاهها لا بأسلوبها، فالصعوبات التي اعترضت الأوائل هي التي مهدت لهذه الاجيال، بعد الحرب العالمية الثانية ليصبحوا أكثر احساسا بالواقع.

كان الشاغل الأكبر للمدرسة الحديثة يمثل في التعبير عن الطبقة الوسطى في المجتمع بكل ما تصبح به من قوة وضعف كما تمكنت من الإشارة إلى المستقبل، حيث عبرت (حواء بلا آدم) عن أزمة الطبقات القادمة ومحاولة الطبقة الوسطى من التقرب إلى الطبقة العليا وأن تشاركها مغانمها.

جمعت المدرسة الحديثة بين دعوة لطفي وجمعه ودعوة الهيكل، فكانت العصرية المصرية دعوة إلى شكل فني عصري، يستمد ماديته من الواقع المصري ويعبر عن الشخصية المميزة للوطن.

اتسمت الحركة الواقعية الأولى إعماد الرواية على شخصية شاذة نفسيا، وذلك بسبب حداثة علم النفس بالنسبة للمثقف العربي، وهو تجاهلا ضمنيا لفكرة الشخصية السوية، كذلك اختفاء المراة من الحياة الاجتماعية ومشكلاتها، أديّا إلى ظهور الشخصية الشاذة وتقريبا خلو الرواية من العاطفة.

هذا التيار لم يستطع أن يستوعب مرحلتهم بعمق، لأنه لا بد أن توجد الشخصية الاجتماعية التي تحاول من خلال مواقف متفاعلة ومتضاربة أن تعبر عن الصورة المكررة للحياة الاجتماعية، استمرت الشخصية الشاذة حتى يومنا هذا، إلا ان العمل الفني لا يقوم عليها وإنما يستكمل بها بعض ملامحه.

الفصل الثالث

كنوز الأدب العربي الحديث في رسائل الأدباء العرب والفلسطينيين إلى العلامة كراتشكوفسكي المحفوظة في أرشيف أكاديمية العلوم الروسية

ولد العلامة الروسي اغناتي كراتشكوفسكي عام 1883 في مدينة فيلنوس جمهورية ليتوانيا. ومنذ الصغر وأثناء إقامة والد كراتشكوفسكي في مدينة طشقند يتعرف كراتشكوفسكي الطفل على الشرق، منذ كان تلميذا في الثانوية بدأ يدرس اللغة العربية. وفي عام 1901 انتسب إلى كلية اللغات الشرقية في جامعة بطرسبورغ، حيث درس اللغة العربية ولغات شرقية أخرى.

بدأت رحلة تعارف العلامة الروسي كراتشكوفسكي بالأدباء العرب منذ وصوله في شباط عام 1908م إلى الشرق، حيث تعرف هناك على لبنان وسورية وفلسطين ومصر، وظلت تربطه علاقات حميدة مع كثير من الأدباء العرب في مصر وسوريا ولبنان، مثل جورجي زيدان صاحب مجلة الهلال وأحمد تيمور وميخائيل نعيمة ومحود تيمور ومحمد كرد علي وسامي الدهان والكتّاب الفلسطينيين بندلي الجوزي، وسليم قبعين وإسعاف النشاشيبي وغيرهم.

وفي أثناء مكوث العلامة كراتشكوفسكي في بيروت يتعرف على المكتبة الشرقية وعلى مكتبة جامعة القديس يوسف، حيث ساعده البروفيسور لويس شيخو في إقامته هناك لدراسة المخطوطات العربية، كما تعرف على مكتبة الإسكندرية في مصر والقاهرة وبلغ مجموع ما كتبه العلامة الروسي حوالي 600 دراسة علمية.

وقد اهتم العلامة اهتماما خاصا في أدب القرون الوسطى، وقام بترجمة الأعمال الكثيرة من الأدب العربي الجاهلي وأدب القرون الوسطى والآداب الحديثة، وأثناء إقامته تعرف على الأدباء أمين الريحاني وبندلي الجوزي، و خليل السكاكيني، وإسعاف النشاشيبي وجميل الخالدي.

يقول كراتشكوفسكي عن علاقته بالأدباء الفلسطينيين في كتابه "مع المخطوطات العربية" بعد عودته من الشرق. حيث مكث في سوريا وفلسطين ومصر ما بين 1908-1910، "تسلمت بعد رجوعي إلى روسيا بوقت قليل رسالة صغيرة من القاهرة من تيمور باشا يبدي تأسفه لعدم التقائي به ويطلب مني زيارة مكتبته عندما تسنح الفرصة، ولكن هذه الفرصة لم تسنح".[1]

ويقول أيضا عن معشر الناس في لبنان "وهناك وجدت طبيعة جديدة وبشرا جددا

"وهناك أعجبني الناس وعشت في دنياهم، وتباعدت عني الكتب، على ما بدا لي. وهناك سعيت لقضاء كل وقتي بين الناس رغبة بممارسة لغة التخاطب. وهناك وجدت بين اللبنانيين أناسا اجتماعيين كانوا ينظرون الي وحب الاستطلاع يملأ نفوسهم. وفي كل مكان كانوا يستضيفون ذلك الموسكوفي الغريب بنفوس راضية مبتهجة. ولكنني انطوائي ولا أميل للاختلاط بالناس. لذلك كانت مسالة المعاشرة أمرا صعبا بالنسبة لي."[2]

أما عن رسائل الأدباء العرب، فقد كتب كراتشكوفسكي عن رسائل أمين الريحاني الفيلسوف العربي اللبناني "ومن خلال السطور كنت أشعر أحيانا بان عواطفنا متبادلة مع أن كل منا لم ير الآخر مطلقا، ووجدت بيننا تلك القرابة الروحية التي سبق أن كتب عنها الريحاني، وأن كل منا ليس غريبا عن الآخر".

لقد ترسخت علاقات الأدباء العرب مع الأدباء الروس، ولا تزال مكتبات موسكو وسانت بطرسبورغ وقازان وباكو تحتفظ بكثير من الرسائل التي بعث بها العلماء العرب إلى العلامة الروسي كراتشكوفسكي وغيره من الكتّاب والعلماء الروس.

لقد مكثت في روسيا العديد من السنوات لتحقيق رسالة الماجستير ثم رسالة الدكتوراه في كلية الاستشراق في جامعة سانت بطرسبورغ، وخلال هذه الفترة تمكنت من التعرف على الأرشيف الروسي وخاصة أرشيف العلامة كراتشكوفسكي، وقد عثرت هناك على كثير من الرسائل القيمة المخطوطة بأقلام عظماء الأدب والقصة والشعر والفكر العربي. والتي تزخر بالمعلومات القيمة عن فترة من أهم فترات النهضة العربية الفكرية والوطنية، إذ أن العالم العربي كان يعيش عهد ثورات وتغييرات كبرى تطلبت فتح النوافذ على الأدب والفكر العالمي. ومن خلال هذه الرسائل يمكن الاطلاع على أهم فترات التغيير الثوري في مصر ولبنان وسوريا. في دراسة التراث العربي وتاريخ العرب والإسلام ومقاومة العلماء العرب لسياسة طمس معالم الفكر والتراث العربي على يد الساسة الغربيين وأعوانهم في الأكاديمية الغربية.

وفي إطار عملي على تحقيق أطروحة الدكتوراه في كلية الاستشراق في جامعة سانت بطرسبورغ فقد تمكنت من الاطلاع على بعض الرسائل القيمة المخطوطة بأقلام أكبر أدباء وعلماء العرب، وهي محفوظة في ملف العلامة كراتشكوفسكي في أرشيف أكاديمية العلوم الروسية في مدينة سانت بطرسبورغ، ويحتوي الأرشيف على رسائل محفوظة في

ملف كراتشكوفسكي لأدباء من جميع الأقطار العربية ممن عرفوا برواد الرواية والقصة العربية، وممن اشتهروا بمعاركهم الفكرية من أجل التقدم والحرية، وممن رسخوا وأدخلوا مفاهيم حديثة في البحث العلمي والتاريخي. فيكتب من مصر جرجي زيدان ومحمود وأحمد تيمور، ومن سوريا العالم سامي الدهان ومن بيروت أفرام البستاني ويوسف أسعد داغر، ورسائل من الكاتب بشر فارس وأحمد زكي أبو شادي، ومن القاهرة خليل محمود عساكر ونجيب عفيفي وعبد الوهاب محمود فؤاد من مكتب النشر الإسلامي في القاهرة ومن مجلة "الرابطة الشرقية" علي عبد الرازق.[3]

أما الفترة الزمنية لهذه الرسائل فتمتد ما بين(أعوام 1910-1950)، وتتمحور حول الأوضاع الأدبية والثقافية في الوطن العربي، ولعل أهم ما يميز هذه الرسائل تلك العاطفة الصادقة التي ذكرها العلامة كراتشكوفسكي في كتابه "مع المخطوطات العربية" فها هو الكاتب بشر فارس يكتب من مدينة برلين في تاريخ 22 مايو 1935، حيث يبدأ رسالته بكلمات "والسلام عليك يا سيدي ممن يخلص إليك ويدعو لك"، وفي هذه الرسالة يشير الكاتب بشر فارس إلى مقال نشره المؤرخ محمد كرد علي يناقش فيها الكاتب بعض المستشرقين حول موقفهم من العرب في إسبانيا، كما يذكر الكاتب بشر فارس حول بعض المسائل التي كانت تدور في مسائل الشعر والأدب في مصر حيث يذكر في رسالته عن قيامه بنشر مقال في مجلة باريسية أثارت نقاشاً حاداً في مصر فيقول "وأما المقالة فقد أثارت في مصر ضجة، فعلق عليها الكاتب وناظرني فيها زكي مبارك والمازني شهراً كاملاً في جريدة البلاغ وتحزب لي الدكتور هيكل".

وتعكس رسالة الكاتب الأديب جرجي زيدان والمؤرخة في المخطوطة على ورقة مزينة بشعار مجلة "الهلال" المصرية التي لا تزال تصدر في القاهرة الثقة والاحترام الشديد للعلامة الروسي كراتشكوفسكي والشهادة له بضلوعه في أدب العرب حيث يسأله الكاتب جرجي زيدان أن يبدي رأيه في كتاب "تاريخ أدب اللغة العربية" وما يعني لكم من ملاحظات وانتقادات يستفيد منها، ويسأل زيدان : "هل تعرف ما آلت إليه حال ترجمة "المملوك الشارد" إلى الروسية، وهل ترجم سواها إلى لسانكم"[4] ويذكر أن العلامة كراتشكوفسكي قام بزيارة إلى فلسطين وبلدان الشرق ما بين أعوام (1908-1910) في بعثة من كلية الاستشراق، ومندوبا عن الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية، لمراقبة المدارس الروسية في منطقة روسيا وفلسطين ولبنان. وقد زار خلالها أخرى. 20

يوليو 1911 يكتب جرجي زيدان : "ما زلت منذ شرفتني بمصر وأنا معجب بمناقبكم ولطفكم، كما التقى هناك بالأديب الفلسطيني سليم قبعين الذي استقر في القاهرة وأصدر مجلة الإخاء، وكان ملما باللغة الروسية وآدابها، وكان من أبرز المترجمين للآداب الروسية إلى العربية، والى جانب ذلك كان كما يبدو من خلال الرسائل حلقة الوصل بين العلامة كراتشكوفسكي وأدباء مصر، فيكتب زيدان "فكلفت صديقنا سليم قبعين أن يخبرني عن فحوى الرسالة لأنني لا أفهم الروسية" أما الكاتب يوسف أسعد داغر دار الكتب اللبنانية فيكتب رسالته في 9 أيلول 1946 يتناول فيها مسألة "تأثير القصة الروسية وأثرها في الأدب العربي الحديث"[5]ورسالة أخرى مؤرخة في تاريخ 19 أيلول 1941 يشدد فيها على أهمية العلاقات التي تربط روسيا بالشرق فيقول : وإني لأرجو مخلصاً أن تكون روسيا الحديثة التي تقوم بكل هذا العمل الثقافي بواسطة مؤسساتها العلمية كأكاديمية العلوم، ومعهد الدراسات الشرقية تحت رعايتكم فنعيد ربط ما انفصم من العلاقات التي كانت نامية إلى حد بعيد بين روسيا في مطلع هذا القرن".[6]

أدباء فلسطين والعلامة كراتشكوفسكي :

يحتوي أرشيف أكاديمية العلوم الروسية في سانت بطرسبورغ على عدد كبير من الرسائل، التي وجهها أدباء فلسطين إلى العلامة كراتشكوفسكي، منها ما كتب باللغة الروسية ومنها ما كتب باللغة العربية، فالمؤرخ الفلسطيني بندلي الجوزي يكتب من مدينة قازان في الجمهورية التترية حيث كان يقيم هناك ويعمل أستاذا في الكلية الشرقية في جامعة قازان.

ويكتب الأديب سليم قبعين ابن الناصرة من القاهرة ورسائل من القدس، وبيت جالا من عساف، وهبة جرجس وغيرهم.

رسائل المؤرخ بندلي الجوزي:

يحتوي أرشيف أكاديمية العلوم على مجموعة كبيرة من رسائل المؤرخ الفلسطيني بندلي صليبا الجوزي، ومعظمها مكتوب باللغة الروسية ما بين سنوات 1910 حتى عام 1952.

وقد ربطت المؤرخ الفلسطيني بالعلامة كراتشكوفسكي صداقة حميمة، وتبادل

الزيارات والمقالات العلمية التي كانت تصدر، ورغم هجرة المؤرخ الفلسطيني وانتقاله للإقامة في مدينة كازان التتارية وفيما بعد في مدينة باكو عاصمة جمهورية أذربيجان، إلا أنه ظل على صلة مع وطنه فلسطين وظل متابعاً لما يحدث في وطنه. فهو يكتب رسالة مؤرخة في 29 تشرين الثاني 1914 فيكتب:

"سيدي الفاضل المحترم، أخاف أن ينقضي العمر وانا أعلل نفسي باليوم والغد الأمر في فلسطين على ما يرام، والخلاف بين الروس واليونان بلغ أشده، وقد انقلب الكل علينا حتى دول الظلم والاستبداد التي لا تزال تباع وتشترى بأرخص الأثمان، ولم يعد لدينا من نصير إلا الله فلا حول ولا قوة، ، واليوم جاءني مع البريد خبر نحس وهو إغلاق الجريدة الوحيدة "فلسطين" التي كانت لسان حال الأمة العريقة الأرثوذكسية في فلسطين، ودافعت عن حقوقها دفاع المجاهدين وأضف أن يتبع ذلك اضطهاد بطل الحركة الفلسطيني صاحبكم خليل سكاكيني".[7]

وفي معظم رسائل المؤرخ الجوزي نجد تعبيراً شديداً عن رغبته في العودة إلى فلسطين، فهو يكتب 1922/10/6 رسالة معبراً عن هذه الرغبة فيقول "هأنذا جالس على شاطئ البحر منتظراً جداً كي أبحر في الوطن،حيث هناك من يدعوني بشدة إلى العودة حيث أني منذ مدة طويلة بعيدا عن الوطن، بسبب مرض زوجتي"وفي مكان آخر معبراً عن ألمه لعدم مقدرته على العودة إلى أرض الوطن. يقول" إن مأساة حياتي تتعمق بعد أن أصبحت لا أقوى على مجرد التفكير في العودة لأسباب جسدية، من العودة إلى أرض الوطن لأساهم في بناء حياة جديدة الأمر الذي كنت منذ فترة طويلة أفكر به.

"إن الصفحات التي يحتفظ بها أرشيف أكاديمية العلوم من رسائل المؤرخ الجوزي ابن القدس تحتاج إلى تكريس الكتب، ومتابعة هذه الرسائل قد تأتي بالنفع الكثير لتوضيح صفحات مجهولة من تاريخ الشعب الفلسطيني، خاصةً أولئك الذين كتبوا وأبدعوا بعيداً عن وطنهم بسبب الظروف القاهرة التي اضطرتهم للرحيل عن الوطن مرة بسبب العسف والظلم العثماني، ومرة أخرى بسبب العسف والظلم الإنجليزي ومؤامراته، والمقاومة العنيفة والأساليب الشنيعة التي استعملها الاستعمار الإنجليزي مع رجال الفكر والعلم العرب، الذين حاولوا مستغلين كافة الوسائل لتوضيح حجم المأساة التي تنتظر الشعب الفلسطيني لما يحيكه الاستعمار من دسائس ومؤامرات شاهدوها، أولئك المثقفون من بدايتها ولاقوا

الأهوال نتيجة مواقفهم واضطروا للرحيل طلباً للحرية ولإيجاد الظروف الأساسية البسيطة لكي يبدعوا ويعملوا.

ولعل المؤلفات المجهولة والمحفوظة في أماكن كثيرة في العالم تتيح للمثقفين الفلسطينيين الكشف عن معلومات هامة لمعرفة أحداث لعبت دوراً في تاريخ فلسطين.

رسائل عساف وهبة جرجس ووهيبة فرح

وهناك معلومات قيمة حول المدارس الروسية في فلسطين، وخاصة سمينار دار المعلمات في بيت جالا في الرسائل الكثيرة المحفوظة في رسائل معلم المدارس الروسية في حمص وبيت جالا وهبة عساف جرجس، فالرسائل تتحدث عن الكتب التدريسية في السمينار الروسي وأخبار العاملين من المدرسين الروس والعرب، وتحتل رسائل المؤرخ ديمترفسكي السكرتير العلمي للجمعية الإمبراطورية الفلسطينية حيزاً هاماً من الأرشيف، حيث يكرس السمينار المعلمين في الناصرة، الذي أداره إسكندر كوزما، في رسائل تفاصيل حول تدريس اللغة العربية. ففي الرسالة المؤرخة في تاريخ 29 حزيران 1911 للعلامة كراتشكوفسكي يكتب" سيدي الفاضل المحترم: لقد أقفل السمينار أبوابه منذ السادس والعشرين من الشهر الجاري، وتفرقت التلميذات كل إلى مسقط رأسها وقد أجرى الفحوص هذه السنة الخواجة بولس رياجكسي الذي عدا عن أنه يعتبر وكيلاً للمعاملات الروسية، ففي الوقت نفسه له السلطة على كل مدارس فلسطين وحدث ان كل طلاب مدرسة الناصرة الداخلية حضروا إلى القدس الشريف لزيارة الأماكن المقدسة بمعية مديرهم، الخواجة إسكندر كزما وأحد أساتذتهم الروس، فانتدب الخواجة رياجكسي الأستاذ إسكندر أفندي كزما لإجراء فحص العربية في سيمنارنا المحبوب، فكانت النتيجة أننا جنينا ما زرعناه ولله الحمد، ولا بأس من إيراد إحدى عبارات الأستاذ لحضرة رئيسنا بأنه قد ابتدأ في سيمنارنا دور جديد للغة والعربية أخذت في سنة واحدة مركزها الواجب، وقد اطلع حضرته على أشغال التلميذات الكتابية عن السنة المنصرمة بكاملها، وعلى أشغال الفحص الكتابية التي كانت بحسب اقتراح الخواجة رياجسكي في الصف الثالث " الخاصيات الممتازة في حياة الإنسان وظهورها في حياته". وفي الثاني وصف فصول السنة كل في بلدها، وفي الأول تعريب عن اللغة الروسية قطعة "الحصان والوعل". (8)

وفي رسالة أخرى في 20 مارس 1912 يذكر الأستاذ عساف حول مكانته وتشجيع البنات على دراسة اللغة العربية "كنا قد قررنا في بداية السنة المنصرمة أن نقرأ للبنات كل أحد مساء بعض مقتطفات من الجرائد والكتب والمجلات، وتعريف الطالبات بمشاهير اللغة العربية فكانت النتيجة أن العربية ازدهرت إلى درجة حرصنا عليها".

ويشير الأستاذ عساف وهبة إلى ما يعانيه السمينار من نقص في الكتب. فيقول في رسالة مؤرخة في 29 حزيران 1912 : "ينقصنا أمر واحد وهو الكتب العربية اشترينا بقيمة 1200 فرنكاً كتباً ولكنها كلها كانت تدريسية ضرورية".

ونجد في رسائل الأستاذ وهبة معلومات كثيرة عن أدباء فلسطين خريجي السينمار، مثل خليل بيدس الذي زار سيمنار بيت جالا عدة مرات.

ونجد في هذه الرسائل معلومات حول حركة ترجمة الأدب الروسي للعربية في فلسطين فيقول في رسالة مؤرخة في 10 مارس 1912 "كنت قررت أن أراقب المطبوعات العربية وأرى هل لكتبة الروس شيء فيها. إن جريدة حمص في أكبر عدد من أعدادها تطبع شيئاً عن الروسية بقلم بلان، ولكن يعسر عليّ معرفة تلك المقالات جميعها لأي مؤلف فإذا كنتم تأمرون أن أقدم لكم هذه النسخ، فبعضها لتولستوي وبعضها لتشيخوف وغيره".

رسائل الكاتب سليم قبعين

احتلت رسائل الكاتب والصحفي الفلسطيني ابن الناصرة سليم قبعين حيزاً كبيراً من مجموعة الرسائل التي تركها الكتّاب والعلماء العرب في أرشيف العلامة الروسي كراتشكوفسكي منها ما كتب بالعربية ومنها بالروسية والمكتوبة ما بين أعوام 1908-1928 من مدينة القاهرة والقدس.

وقد تحورت رسائل الكاتب قبعين حول العديد من المواضيع التي تعكس اهتمام الكاتب في مجال الأدب وأحوال البلاد العلمية والصحفية والسياسية، ويعبر الكاتب في معظم رسائله عن إعجاب الكتّاب العرب بالعلامة وبفضله على الاستعراب والعلوم والتاريخ العربي، ونقل هذا التاريخ إلى الأمم الروسية والأوروبية، ويتناول مواضيع ترجمة الأدب العربي للروسية، ففي الرسائل المدونة في تاريخ 18 يوليو 1911 يشير الكاتب إلى ترجمة

مؤلفات الكاتب جرجي زيدان للروسية، ويؤكد مسألة التعاون الثقافي، كما يشير في رسالته إلى اهتمام العلامة بالمخطوطات العربية، واهتمام الكتاب العرب بإبداع الكتاب الروس وإنتاجهم الأدبي الذي يصله عبر جريدة "روسكوي سلوفا".

"روسكي سلوفا" الكلمة الروسية، التي يقرأها بشكل دائم والتي يخبرهم عنها ويشير إليها في جريدته المحروسة، وخصوصا ما يجيء بشأن تركيا، (رسالة مكتوبة في كانون ثاني 9 يناير 1911).

ويشير الكاتب قبعين إلى تعيينه للعمل في جريدة "الترقي"، والتي تصدر بثلاث لغات العربية والفرنسية والإنجليزية، وعن مساهمته في مشروع "إحياء آداب اللغة العربية"، ويشير بهذا الصدد في رسالته من تاريخ 8 يناير 1911 قائلاً : "وتفصيل ذلك أن صديقكم سعادة أحمد بك زكي كان ضيف هذا العام في الأستانة، فنقب في مكاتبها فوجد هناك كثيراً من الكتب الخطية، وقد اشتغل زمناً لنسخها بمساعدة فريق من الناسخين، ولما عاد من الأستانة عرضه على ناظر المعارف والمعرفة، فقرر طبعها جميعا وطلب اعتماداً مادياً لذلك، فصادقت الحكومة عليه وقد شكر الناس لزكي بك هذه المهمة وقدروا حقه حق قدره".(9)

ويشير في رسالته إلى الكاتب تولستوي، حيث نظم الشاعر أحمد بك شوقي شاعر الخديوي وحافظ أفندي إبراهيم قصيدتين في رثائه، وأن الصحف العربية قد كتبت الكثير عن هذا الكاتب الفذ، وأن قبعين كتب العديد من المقالات في الصحف العربية عن حياة الكاتب الروسي تولستوي.

وقد وجدنا بين الرسائل ترجمة حياة قاسم بك أمين، ويبدو أن هذه الرسالة كانت جواباً عن سؤال للعلامة كراتشكوفسكي، والذي اهتم اهتماماً خاصاً بحياة مصر الثقافية. وفي معظم الرسائل التي كتبها قبعين، يعبر عن شوقه لوطنه فلسطين وعن زياراته إلى منطقة سوريا واجتماعه بأهله، ويصف قبعين في رسالته الحياة الأدبية والثقافية في فلسطين فهو يكتب في 31 مارس 1912 :"سافرت في شهر سبتمبر (أيلول) الماضي إلى روسيا فنزلت من حيفا ومنها قصدت الناصرة حيث حضرت اليوبيل؛ الاحتفال للمدرسة الداخلية الروسية".

وفي إحدى الرسائل يشير الكاتب إلى اهتمام الحكومة المصرية، وبالتحديد زكي باشا رئيس مجلس النظار الذي اهتم خاصة بمؤلفات العلامة كراتشكوفسكي حول العرب وعن قرار الحكومة طباعة مؤلفاته بالعربية.

ويشير الكاتب قبعين في إحدى رسائله المكتوبة في تاريخ 10 يناير 1914 عن قيامة بتأسيس مطبعة، مما سبب له متاعب مالية وخسائر كثيرة، معللا ذلك : "ولكنني أقدمت على الأمر دون رؤية وفكر، وأنشأت المشروع بدون رأس مال كبير يضمن حياتي فما هي إلا أيام معدودة حتى وقعت في عسر مالي شديد".

وعلى أوراق المجلة الرسمية مجلة "الإخاء" التي كان يصدرها الكاتب قبعين في مصر، والتي عرفها بأنها مجلة علمية تاريخية أدبية مصورة لصاحبها سليم قبعين، وعلى رأس الصفحة أيضا تعريف لمهام المجلة حيث كتب "الإخاء هي المجلة الوحيدة التي تنقل مواضيعها عن اللغة الروسية".

وفي رسالة أخرى من تاريخ 30 مارس 1928 حول مجلته يقول "ما زلت أنشر مجلتي بانتظام في مواعيدها، وقد بدأنا من هذا العدد السنة الخامسة وما زالت استقي واستمد مواردها من اللغة الروسية، وكنت مشتركا بعدة مجلات روسية تصدر في ريغا، ولكن كلها احتجبت عن الظهور وصارت المواد عندي ضعيفة هذه الأيام".

ويضيف في رسالته حول نشاطه الصحفي في مجال نقل المواد عن الحياة الثقافية الروسية، إلى مجلته فيكتب : "ويسرني أنني افتتحت العدد الأول من السنة الخامسة بمقالة عن الأكاديمية الروسية في لينينغراد، ترجمتها عن (ختشو فسو زنات)، (أريد أن اعرف كل شيء)، ونسخة من مجلة (ختشو فسو زنات)، ونسخة من مجلة (جلافيك أي بريرودا)، ونسخة من (مجلة يوج يوج)".

لا شك أن تعرف العرب على الأدب الروسي الحديث قد زود الساحة الفكرية العربية بمواضيع جديدة، تتحدث عن الطبقة العاملة والعمال وحرية المرأة والإنسان من العبودية. وإذا كانت المدرسة الغربية الإنكليزية والفرنسية والأمريكية التي نشطت في هذا العصر في المنطقة العربية لتجنيد المثقفين ضد الحكومة العثمانية رغبة بتقسيم البلدان العربية إلى ولايات متنافرة كما تم في مؤامرة سايكس بيكو، فإن روسيا التي شهدت أكبر أحداث

ثورية قد وضعت أهدافا مخالفة عن الاستعمار الغربي، الذي استمال المثقفين العرب طمعا في تكوين طبقة مناهضة للعثمانيين لكن مطبعة ومعجبة، بل وتمجد القيم الغربية التي ظهرت على شكل أفكار تدعو لحرية العرب لكن على أن تكون حريتهم مرهونة بقرارات المملكة المتحدة وبلاط الملك الإنكليزي. وكانت مصر قد حملت لواء العروبة والتعريب، ويشهد التاريخ على حملة إبراهيم باشا الذي لم يخف معارضته للسلطان العثماني، بل قال مقولته الشهيرة " أنا لست تركيا. فقد أتيت إلى مصر عندما كنت فتيا، ومنذ ذلك الوقت غيرت شمس مصر دمي وجعلته عربيا خالصا" البرت حوراني الفكر العربي في عصر النهضة ص، 268. لذا فمعظم كتّاب سوريا وفلسطين وفي هذا العهد هاجروا إلى مصر القاهرة، التي شهدت ثورة واسعة من النهضة والتغيير والبناء الثقافي الأدبي.

لقد أسهم الكتّاب الفلسطينيون والسوريون في تنشيط هذه النهضة، وتزويد هذه الثورة الفكرية بكل الأدوات اللازمة من نشر الكتب والترجمة وبناء المسرح، والسينما وتعريف العالم العربي بفنون جديدة تعرف عليها الأدباء الفلسطينيون، مثل سليم قبعين من خلال معرفتهم أصول اللغات الأجنبية ومبدعي هذه اللغة من عظماء الشعراء والأدباء الروائيين، الذين اغنوا الأدب العالمي بروائع القصص والروايات، مثل تشيخوف فيشير قبعين في رسالة كتبها في تاريخ تموز 1915م إلى مدى تعاونه مع ممثلي الجالية الروسية في مصر وأعضاء السلك الدبلوماسي في القاهرة ، من أجل تعريف القارئ العربي بروسيا وثقافة روسيا ورفع شان روسيا في العالم العربي* وتعريف العرب بمواقف روسيا السياسية والدولية، فهو يذكر في رسالته عن اجتماعه بالقنصل الروسي في القاهرة المسيو مالك الذي يصفه بالوطني ، وهو "أول رجل روسي عرفته في الشرق يهتم بخدمة وطنه وأمته، و يعمل على رفع شأن روسيا، عندما نشبت الحرب، رأى هذا المجتهد النشيط أن كل قناصل الدول تعمل باجتهاد في كتابة المقالات عن حكوماتهم في الجرائد العربية والإفرنجية التي تصدر في القاهرة، فلم يستطع الوقوف أمام هذه الحالة، فدعاني مع البروفيسور فرجنسكي وعين لي راتبا شهريا قليلا" ويضيف "ومن ثم اطلعت على رحلة رحلها محمد رشاد بك رئيس محكمة الاستئناف في مصر (واصف احمد زكي بك باشا صديقكم)وقد وصف روسيا وصفا جميلا،ووصف حالة مسلميها، وهي أول رحلة عن روسيا نشرت باللغة العربية".

رسائل خليل بيدس صاحب مجلة النفائس العصرية

حياة خليل بيدس

ولد خليل إبراهيم بيدس في مدينة الناصرة في خريف عام 1875، وينتمي إلى أسرة "الصباغ"، أما بيدس فهو لقب أطلق على عمه يوسف فغلب اللقب على اسم الأسرة، وحصل ذلك كما يروي عم الكاتب خليل نعمة الصباغ : "كان يوسف -عم المترجم- إذا نشبت معركة بين شباب الحارة الشرقية وهو منها والحارة الغربية، يصد المهاجمين مهما كثر عددهم بعصا، ولا يبالي بالضربات تنهال عليه، وحدث مرة أنه لم يتمكن من الوصول إلى بيته، فانتزع باب دكانه وهاجم الشباب الغربي وانهال عليهم بالضربات حتى بدد شملهم والدماء تتدفق من رؤوسهم وردهم على أعقابهم مهزومين مولولين، وكان في عهده رجل متين العضل عامل في البناء اسمه "بيدس" غريب الدار، لا يقوى أحد على أن يقوم برفع الأثقال مثله، فلقب يوسف ببيدس وكانت له أخت اسمها مريم زعيمة النساء في الأفراح والأتراح فلما أطلت قال المتجمعون: جاءت مريم أخت بيدس، فغلب هذا اللقب على تسمية العائلة بالصباغ"[10].

أما والد خليل وهو إبراهيم الصباغ فكان تاجراً للقماش مات شابا لم يتجاوز الثلاثين من عمره، أما خليل ابنه فكان في الخامسة من عمره وتزوجت أمه ورد وتركته مع أخته في حضانة جدته "دلة" ، واعتنى بتربيته بعد عمه إلياس حنا الصباغ.

أما تعليمه الابتدائي فقد تلقاه خليل بيدس في مدرسة الروم الأرثوذكس، وكان أبرز المعلمين في هذه المدرسة هو يوسف نصر الذي تتلمذ عليه خليل بيدس، وكان له قسط وافر في توجيه كاتبنا إلى عالم الأدب، فدرس خليل مبادئ القراءة والكتابة في اللغة العربية ودرس المزامير والكتب الدينية وتمرن على ترنيم الصلوات والإنشاء هذا الموضوع الذي شد كاتبنا إليه فيبدع ويبرز فيه.

وبعد أن أنهى خليل المدرسة الابتدائية انتقل وبفضل أعمامه والتحق بالسمينار الروسي (دار المعلمين) في الناصرة، وهناك مكث ست سنوات، انتقل بعد ذلك ليتولى إدارة المدارس الروسية الابتدائية في سوريا وفلسطين، فانتقل للسكن في مدينة حمص

في الشام ومكث هناك مدة سنتين، وينتقل إلى بسكنتا وعمل في مدارسها، ويجدر أن نذكر أن الكاتب العربي ميخائيل نعيمه تتلمذ على يده وساعده في الانتقال لإكمال تحصيله في دار المعلمين الروسي في مدينة الناصرة، وتزوج خليل من إحدى المعلمات في المدرسة وانتقل إلى حيفا.

وهنا بدأ بإصدار مجلته "النفائس" عام 1908 وقد اشتهرت هذه المجلة في جميع الأقطار العربية، وسنأتي فيما بعد على هذه المجلة بتفصيل أكثر.

أما عائلته فقد أرادت منه أن يصبح ممثلا للطائفة الأرثوذكسية في مقر البطريركية في القدس، فاستقال من مهنة التعليم وانتقل إلى القدس، فعين معلماً للغة العربية في مدرسة المطران الإنجليزية في القدس، وظل فيها حتى سنة 1945 حين أحيل على التقاعد.

خليل بيدس في القدس:

لقد عاش خليل بيدس ونشط وأبدع الكثير من الأعمال أثناء تواجده في القدس، فهناك تعرف على الكثير من الوجوه الأدبية الفلسطينية التي كان لها الدور البارز في ذلك الوقت في بناء الحركة الفلسطينية الفكرية والأدبية، وقد ساعده على ذلك حركة الصحافة والفكر النشطة التي عرفتها مدينة القدس آنذاك.وكتب المؤرخ عجاج نويهض عن زميله بيدس قائلا:

"ولما كنت أدير الإذاعة العربية في القدس خلال الحرب الثانية كان خليل بيدس مورداً فياضا في أبواب جمة من أفضل الحديث والقصة، التاريخ والنقد اللغوي وكانت صحبتي معه وثيقة، ولما اقترب 15 أيار 1948 رأى بيدس وقد أصبح شيخاً ولكن الهمة والمروءة ملء برديه، أن الأولى به أن يبقى في داره (في البقعا الفوقا) وحده، وبقي هذا الشيخ الباسل في بيته المنفرد في طرف الحي وهو واثق أن اليهود إذا جاءوا فلن يعقل أن يكونوا وحوشاً، فلما دخلوا هذا الحي العربي وقد خلا من الحامية والمدافعين، أخذوا يفظعون أي تفظيع فبلغ هذا بيدس وهم يقتربون من بيته، ولما رآهم يعتمدون القتل والسلب رحل عن البيت طالباً النجاة منهم وأخذ طريق البرية والوادي إلى (سلوان) وهو يمشي عدة كيلومترات وحده، في أرض غليظة شائكة حتى بلغ مأمنه، ثم دبر أمر انتقاله إلى عمان.، فقيل لي أنه وصل عمان.، فذهبت إليه وسلمت عليه وهنأته بسلامته، وقص علي

قصته، وقال أنه ينوي بعد أيام الانتقال إلى بيروت فجأة، وكان ذلك اللقاء في عمان آخر لقاء بينه وبيني، توفي في بيروت سنة 1949"[11].

كان بيدس خطيبا مجيداً، وكان إنسانا محباً للحياة مرحا أحبه تلاميذه وأحبهم، وكان مخلصا للكلمة، ومن هنا كانت خطبة تشتهر بين الناس فيحدث أن سجن على أثر خطاب ألقاه في الجماهير عام 1911م، فقد اجتمع جمع غفير من الناس في باب العامود في القدس فألقى خليل بيدس خطاباً نارياً على إثره قام الاحتلال البريطاني باعتقاله وزجت به في السجن أربعة شهور.

وعدا عن نشاطه الثقافي والصحافي فقد لعب بيدس دوراً في حياته الطائفية الأرثوذكسية، فقد انتخبه أهالي الناصرة ممثلاً لهم في المجلس المختلط في القدس فكتب بيدس بهذا العدد في مجلته "النفائس" عن نشاط مجلس الطائفة، بشأن قضية المدارس "في خلال الجلسات المتوالية قدم منتخب الناصرة تقريراً بشأن مدارس فلسطين، ووجوب إصلاحها عاماً وتوحيدها وإدارتها بما يوافق المصلحة العامة وروح العصر ويضمن رقي الطائفة ونجاحها"[12].

لقد كانت حياة بيدس غنية وعريضة، فأعماله الأدبية ونشاطه الصحفي والاجتماعي ترك أثراً كبيراً على الثقافة والفكر الفلسطيني، وساعد على إنشاء مدرسة شدت الكثير من الأدباء والفلسطينيين الأمر الذي كان له تأثيرات كبيرة على الأدب الفلسطيني المعاصر.

آثاره:

ترك خليل بيدس للثقافة العربية الفلسطينية الكثير من الأعمال الأدبية، منها الترجمة ومنها الروايات والقصص القصيرة التي كان لها دوراً بارزاً في بناء صرح الثقافة الفلسطينية والثقافة العربية ككل، فعدا عن مجلته "النفائس العصرية" التي بدأت بالصدور عام 1908م، والتي سنأتي على ذكرها فيما بعد فقد ترك الكثير من الأعمال المترجمة عن اللغة الروسية لأعظم وأشهر الكتاب العالميين أمثال تولستوي، تشيخوف، دوستويفسكي وغيرهم من الكتاب الفرنسيين والإنكليز والتي ترجمها عن الروسية، وأصبحت ترجماته نافذة على الأدب العالمي الأمر الذي ترك أثره على تطور وتشكل أدب عربي ذي ميول إنسانية، وللأسف الشديد فإن الكثير من أعمال خليل بيدس المترجمة قد فقدت.

كتب ناصر الدين الأسد- الناقد العربي بصدد هذه القضية : "ومن طريف ما يروي في هذا المجال أن لجنة الثقافة العربية في فلسطين سنة 1946م، قد ذكرت أن عدداً كبيراً من الكتب التي ألفها المؤلفون العرب في فلسطين ظلت بعيدة عن متناول أيدي اللجنة، وأن اللجنة اتصلت بالأستاذ الأديب خليل بيدس ورجته أن يقدم لها أسماء الكتب التي وضعها، فذكر أنه وضع ثلاثة عشر كتابا وبعد أن رجع الأستاذ إلى مكتبته وبحث عن آثاره تبين أنه وضع أربعة وأربعين كتابا لا ثلاثة عشر فحسب... ومع ذلك دليل المعرض لم يتضمن من كتب بيدس إلا ذكر أربعة وثلاثين فقط"[13].

وفيما يلي أسماء بعض الأعمال التي تركها خليل بيدس:

- ابنة القبطان: للشاعر الروسي ألكسندر بوشكين، وقد طبع في جريدة المنار في بيروت سنة 1898 ويقع في 387 صفحة.
- القوزاقي الولهان: وهي رواية مترجمة للكاتب الروسي ليف تولستوي، وقد نشرت في جريدة لبنان- بيروت عام 1898.
- الطبيب الحاذق: وقد طبع في بيروت عام 1898.
- العقد الثمين في تربية البنين: وهو كتاب من تأليف خليل بيدس، طبع في المطبعة العثمانية في صيدا في لبنان سنة 1898.
- تاريخ روسيا القديم: وتم طباعته في بيروت عام 1898.
- حفلات التتويج: بيروت سنة 1898.
- الكسور الدارجة: بيروت سنة 1898.
- الكسور العشرية: بيروت سنة 1898.
- مرآة المعلمين: بيروت سنة 1898.
- شقاء الملوك: رواية للكاتبة الإنكليزية ماري كورلي، ونقلها ن، جورافسكايا إلى اللغة الروسية بعنوان "شقاء الملوك"، وقد نشرها خليل بيدس متسلسلة في أعداد المجلة الأولى من مجلته "النفائس" ابتداء من العدد الثاني (7 تشرين ثاني 1908) وصدرت الطبعة

الثانية مستقلة سنة 1922 بمطبعة دير الروم بالقدس.

- أهوال الاستبداد: لتولتسوي، طبعت في المطبعة الوطنية في حيفا سنة 1909 في 338 صفحة، في القاهرة سنة 1827.
- الحسناء المتنكرة: للكاتب الإيطالي أميل سلغاري، صدرت ملحقة بالمجلد الثالث من "النفائس العصرية" سنة 1911 وطبع مرة ثانية عام 1925.
- الدولة الإسلامية: طبع في القدس سنة 1912.
- تاريخ الطيران: القاهرة سنة 1912.
- رحلة إلى سيناء: بيروت سنة 1912.
- ملوك الروس: القدس 1913 وكان قد نشرها متسلسلة في أجزاء المجلد الخامس من مجلته النفائس العصرية سنة 1911.
- درجات الحساب: جزءان، طبع في القدس عام 1913.
- درجات القراءة: (ستة أجزاء) القدس سنة 1913.
- أمم البلقان: القدس عام 1914.
- هنري الثامن وزوجته السادسة: (تأليف الكاتبة الألمانية ف، ملباخ)، صدر القسم الثاني سنة 1912 في المجلد الرابع من مجلته "النفائس العصرية"، وصدر القسم الثاني سنة 1913 ملحقاً بالمجلد الخامس، ثم طبعت الرواية في القدس سنة 1921.
- العرش والحب: (رواية مترجمة- تاريخية غرامية) أعلن أنه ستنشر في أعداد المجلد السادس من مجلته "النفائس" الذي يصدر سنة 1914م، وقد طبعت في القدس سنة 1921.
- تسريح الأبصار فيما تحتويه بلادنا من الآثار: القدس سنة 1920.
- الوارث: (رواية اجتماعية غرامية) - مطبعة دار الأيتام الإسلامية بالقدس سنة 1920.
- تاريخ القدس: سنة 1922.
- ديوان الفكاهة: القدس سنة 1924.

خليل بيدس ضد الصهيونية والاستيطان اليهودي في فلسطين

يعبر خليل بيدس في رسالته إلى المعاناة التي يواجهها الشعب الفلسطيني، نتيجة النشاط الاستيطاني اليهودي وفي مجلته النفائس ينشر الكثير من الأخبار عن الصفقات المشبوهة التي كان يقوم بها عملاء الحركة الصهيونية، للاستلاء على أراضي الفلاحين الفلسطينيين، كما أنه كان في كل عدد يشير إلى مخاطر هذا الاستيطان وطرق مقاومته، وما يشكله النشاط الصهيوني من مخاطر على وجود الشعب الفلسطيني في وطنه.

ونظرا للرقابة الصارمة التي كانت مفروضة من قبل السلطات العثمانية ثم الإنكليزية على المطبوعات، إلا انه كثيرا ما كان يخالف قوانين الرقابة وينشر موادا تحريضية تحت مسميات أدبية وفكاهية تعارض الاستبداد والظلم العثماني الاستعماري. ونشاط الحركة الصهيونية المشبوه في فلسطين تحت سمع وبصر وتواطؤ السلطات العثمانية. وسياسة الرشوة والبخشيش التي كانت سائدة في مرافق الحكم العثماني المختلفة،

ويمكن القول بكل تاكيد أن أدب المقاومة الفلسطيني بدأ منذ أن تفتحت عيون هؤلاء الرواد على مخاطر تشريد الشعب الفلسطيني، والمؤامرات التي تحاك في أروقة القصور العثمانية والإنكليزية، وامبراطورية إنكلترا العظمى مع رؤوس الأموال اليهود، تجار السلاح والحروب من أعضاء الحركة الصهيونية التي بدأت بالانتشار كعبيد في خدمة مصالح الامبراطورية والقوى العظمى الإنكليزية والروسية والفرنسية ومحاولة شراء الباب العالي.

وبعض الرسائل التي وصلت كراتشكوفسكي من بيدس تشير إلى الحياة الأدبية الثقافية النشطة في فلسطين.

رسائل توفيق كوزما إلى كراتشكوفسكي

يعتبر البروفيسور توفيق كوزما من الأسماء المجهولة في أدبنا وفكرنا الفلسطيني، على الرغم من نشاطه الفكري والعلمي والتعليمي الكبير في أوكرانيا وفي مدينة كييف بالتحديد وهو من أوائل اساتذة كلية الاستشراق في كييف، وقد ولد عام 1881، وأنهى دراسته في دار المعلمين الروسية في الناصرة، وفي عام 1895، ولتفوقه في دراسته في السمينار الروسي في الناصرة أرسل في بعثة إلى أكاديمية العلوم الدينية في كييف. وبعد أن أنهى دراسته في الأكاديمية بقي في كييف لتدريس اللغة العربية، وتزوج من امرأة روسية نتاليا الكسندروفنا، وإلى نشوب الحرب العالمية الأولى كان يزور أهله وبعد عام 1917 تعذر ذلك لنشوب الحرب الاهلية في الاتحاد السوفيتي بعد نجاح ثورة أكتوبر بالاستيلاء على الحكم وإعلان الاتحاد السوفيتي.

رسائل كلثوم عودة إلى المستشرق اغناتي كراتشكوفسكي

من الصفحات الهامة في حياة العالمة الفلسطينية كلثوم، عودة فاسيليفا تلك العلاقة التي جمعتها مع العالم الروسي اغناتي كراتشكوفسكي الذي قدم للاستشراق العالمي أهم المؤلفات والدراسات في مسائل هامة من مسائل التاريخ العربي والإسلامي. و عمل على تطوير الاستشراق الروسي. ويعود تعارف كراتشكوفسكي بكلثوم عودة إلى أيام دراسة المدرسة الروسية في الناصرة، حيث يتعرف كراتشكوفسكي على ابنة الناصرة المعلمة في المدرسة الروسية، فيكتب عنها : "أما مصير مساعدتي الثانية فقد كانت جد معقدة، فهي عربية من الناصرة، أنهت مدرسة المعلمين في بيت جالا قرب بيت لحم. و كنت قد قابلتها في الناصرة ذاتها، و كانت آنذاك معلمة ناشئها إلى جانب عملها في بعض المجلات العربية ، و انتهزت العطلة الصيفية عام 1914م، فسافرت إلى روسيا ثم نشبت الحرب الأولى وحالت دون عودتها فبقيت عندنا في روسيا مدى الحياة.

وصارت تعلم في ذلك المعهد منذ العقد الثالث من هذا القرن[14] و ستلعب هذه العلاقة دورا هاما جدا في المستقبل في حياة الاستشراق الروسي والسوفييتي، لكل من الحياة السياسية والثقافية السوفييتية، خاصة تعريف الروس بالأدب العربي والحياة الثقافية من خلال ما كانت تقوم به المعلمة كلثوم عودة بمساعدة العالم كراتشكوفسكي من جمع

المعلومات والأخبار عن حياة العالم العربي الثقافية، حيث ظهرت أسماء جديدة من الأدباء العرب المغمورين، ويشير كراتشكوفسكي إلى هذا الأمر فيكتب عن دور كلثوم عودة "و في الغربة عن الوطن كانت تقوم باهتمام بجمع كل الإخبار الأدبية التي بدأت تتسرب من البلاد العربية آنذاك، و ظهرت أسماء جديدة كثيرة في الأدب العربي لم نكن قد سمعنا عنها قبل الحرب، وصارت لدينا تدريجيا فكرة عن تأليف كتاب القراءة للتلاميذ عن الأدب العربي المعاصر مع مقدمة صغيرة له عن الكتاب" ويشير الشاعر توفيق زياد في كتابه "نصراوي في الساحة الحمراء" إلى لقاء في موسكو مع العالمة كلثوم والى دورها الكبير في نشر اللغة العربية وثقافتها فيقول "و تواصل تدريس اللغة العربية، و تعمل في جامعة لينغراد. إن اسم كلثوم عودة معروف على أوسع نطاق في الأوساط السوفيتية ذات الصلة بالاستعراب والعمل الدبلوماسي والأدب العربي والبلاد العربية عموما. إن أعدادا كبيرة قد درست اللغة العربية جيلا بعد جيل على يديها"(15)

وكان دورها هاما لدرجة أن الحكومة السوفييتية وأثناء الهجوم النازي على الاتحاد السوفييتي أثناء الحرب العالمية الثانية تقرر أن تكون كلثوم عودة بين الذين تم إجلاءهما إلى المؤخرة للحفاظ على حياتها. و من ثم منحها وسام الشرف في عيد ميلادها السبعين.

لقد أسهمت كلثوم عودة إسهاما كبيرا ليس فقط في نشر الثقافة العربية في روسيا، بل ونشر الثقافة والأدب الروسي وترجمتها إلى العربية. ويعود الفضل في تعريف الأدب الواقعي الروسي إلى منطقة سوريا وفلسطين، فقد كان كان سليم قبعين وخليل بيدس وميخائيل نعيمة وأنطون بلان وإسكندر جبرائيل كزما، وخليل السكاكيني ونسيب عريضة من أوائل من نقلوا الأدب الروسي والقصة والرواية والفكر الروسي إلى العربية دون لغة وسيط فرنسية أو إنكليزية ، و يشير الكاتب في مقالته "خير الله ارغاشيف ليف تولستوي والمشرق العربي" أن الفلسطينية رمزية عوافية تلك الفتاة التي انهت دراستها في موسكو في مطلع القرن العشرين وتعرفت على بعض الكتاب الروس المشاهير أمثال ليف تولستوي وغوركي. فكتبت في رسالتها المؤرخة في 4 تشرين الاول 1904م، إلى ليف تولستوي ما يلي "أن أهالي بلدنا يكنون لكم الاحترام الكبير. وينطقون باسمكم بتبجيل وتقديس أنهم يرغبون في مصالحتكم والتحدث اليكم حول مشاكلهم" (16)

وقد ساهمت رمزة عوافية وأنطون بلان وغيرهم بترجمة نتاجات تولستوي وغوركي و غيرهما إلى اللغة العربية.

وفي رسالة مؤرخة في تموز 1933 تطلب كلثوم عودة من العالم كراتشكوفسكي أن يرسل لها عنوان محمود تيمور وتوفيق الحكيم، و في رسالة أخرى في تاريخ تشرين ثاني 1929 تشير إلى إرسالها مجلات عربية إلى العالم كراتشكوفسكي حيث تكتب:

" سيدي العزيز حفظكم المولى سلاما وتحية وأصلكم ثلاث مجلات على ما أظن لا توجد في مجموعتكم فتكرموا بقبولها كما ومجلة الشرق، و عددين من مجلة المرشد"

و من المعروف أن محمود تيمور الذي يعتبر مؤسس القصة القصيرة في الأدب العربي كان له الكثير من المراسلات مع العالم كراتشكوفسكي، وقد ترجمت قصصها إلى اللغة الروسية. و قامت كلثوم عودة بترجمة بعضها وقد تعرف محمود تيمور على الأدب الروسي من خلال ترجمته من اللغة العربية، فهو يكتب " عندما بدأت بالتعرف على الأدب العالمي وأنتقي الكتب الممتازة لمطالعتي الشخصية على الأدب العالمي، إنني عند ذلك تعرفت على تشيخوف العظيم. إنني أحببت قصصه القصيرة التي أصبحت بالنسبة لي مصدرا للمعرفة والقوة، ولقد تعرفت إلى الأدب الغربي، و لكني بقيت كالسابق أمينا إلى حبي وإخلاصي بالنسبة لتشيخوف - الكاتب القصصي العملاق الذي بفضله أحببت تولستوي وتورغينيف، وغيرهم من الكتّاب الروس المشاهير ما زلت حتى الوقت الحاضر أكنّ آيات الاحترام والتقدير للأدب الروسي، ولكني أبقي لتشيخوف مكان الصدارة بين كتّاب القصة العباقرة وأشعر بأنه خيط يصلني وبشكل وثيق بالأدب الروسي، ولقد فكرت في هذا الأمر مطولا، ووصلت إلى نتيجة مفادها أنه يوجد بين الأدب الروسي وآداب الشعوب الشرقية، الكثير من صلات القربى، وكذلك بين الروح الشرقية والروسية ومن الممكن القول بأنهما توأمان"(17).

وفي رسالة مؤرخة في آب 1929 تكتب العالمة كلثوم أنها تسلمت من دار نشر صادر البيروتية رسالة يخبرونها أنهم على استعداد تزويد الكلية الشرقية بجميع ما يحتاجونه من كتب. إن أهمية هذه العلاقة الثقافية مع دور النشر العربية، تلزمنا البحث عن كيفية وصول الثقافة العربية إلى دول أوروبا، خاصة وأن التغييرات السياسية التي كانت تعصف بالعالم في هذه الفترة قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية قد دفعت بالكثيرين من المثقفين العرب، وخاصة السوريين والفلسطينيين الذين كانوا يرزحون تحت الانتداب الإنكليزي والفرنسي للنهوض في حركة وطنية ونهضة فكرية تستلهم من الثورة التي عصفت بأوروبا،

وخاصة بروسيا السوفييتية التي حملت لواء الدفاع عن الشعوب الفقيرة.

وكان للعالم العربي العلاقات الوطيدة مع الاستشراق تكتب " أخذت من صادر تحريرا يخبرني عن استعداده بإرسال كل ما تحتاج إليه الكلية من الكتب ".

و كانت تجد ترجمات الأدب الروسي أصداء واسعة لدى الكتاب العرب، فقد كتب ميخائيل نعيمة عن أدب غوركي : " ليس هناك أي شعب كان كبيرا أو صغيرا، لم يستمع بنتاج الكاتب الإنساني العظيم مكسيم غوركي"[18]، أما الكاتب المصري سلامة موسى فكتب "الحياة عند غوركي هي أجمل ما في الكون، والحياة النشطة الناهضة هي لباب الجمال" . [19]

كما ويجب ألا ننسحب من الحياة في نسك أو عزلة. كما ويجب أن لا نقتنع بالكفاف، و نجبن عند الأقدام، ونلجأ إلى الكهوف ونختبئ.

وقال محمد يونس الساعدي في مقال عن تولستوي ولكني أود أن أؤكد أن الأدب الروسي ككل، و أدب تولستوي بالذات قريب جدا من نفسية القارئ العربي، لأنه يتحدث في مؤلفاته عن حب الوطن، وعن الخير والشر، و عن الخطيئة والتوبة.

إن الدور العظيم لترجمة الأدب الروسي للعربية قد قيمه العلامة الروسي كراتشكوفسكي، الذي ظل على صلة عن طريق مراسلاتهم تقييما هاما بعد أن عاد إلى روسيا من زيارتها إلى فلسطين وسوريا، فتعرف على مدارس الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية، التي كتب عنها في كتابه مع المخطوطات العربية، وقارن بينها وبين المدارس التبشيرية الأخرى التي تميزت عن المدارس الروسية بغناها إلا انه يقول " ومع أن هذه المدارس الصغيرة كانت فقيرة الأثاث، إلا أن لوجودها مغزى عظيم. فلقد وصل إلى هناك من روسيا عن طريق مدارس المعلمين للجمعية الفلسطينية الوصايا العظيمة والأفكار العالية لبيروغوف * وأوشينسكي **. وكثيرا ما كانت المبادئ التربوية للمدارس الروسية في فلسطين وسوريا أعلى مما لدى المؤسسات التبشيرية المختلفة لغرب أوروبا وأمريكا، على الرغم من جودة تجهيز هذه المؤسسات. ومع أن معرفة اللغة الروسية كانت نادرا ما تجد الممارسة في النشاط المقبل للخريجين إلا أنه كان يبقى لديهم من الثقافة والأدب الروسي أثر لا يمحى مدى الحياة. فلقد كشفت قوة الكتاب عن نفسها هنا بكل ما لها من قدرة

وتأثير. وعلى ذلك فقد ظهر كثير من الكتّاب العرب المعاصرين من الرعيل الأول، لا كمترجمين من الروسية فحسب بل ومؤلفين مبدعين بالعربية قالوا كلماتهم لكل العالم العربي[20]

وكان هؤلاء الكتّاب من خريجي مدارس الجمعية الفلسطينية. ولقد جذبني على وجه الخصوص مجتمع أولئك المعلمين المتواضعين. وكثير منهم كانوا منذ ذلك الوقت كتّابا وصحفيين. أما بقية الأعمال الاجتماعية فكان السبيل إليها مقفولا في وجوههم في تركيا القديمة. ولقد رأيت قوة المستقبل في هؤلاء المثقفين الحقيقيين الذين خرجوا من الشعب وعاشوا مع الشعب. وقد برهن تاريخ البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى على صدق ما رأيته.

"وكان هؤلاء الناس يعرفونني لا باسمي العربي المستعار المعروف (الرحالة الروسي) فحسب، بل كانوا يعرفونني أيضا بلقب (غنطوس الروسي)، وهو اللقب الذي لبسني بعد أن تخيلته لنفسي على الطراز اللبناني. وكان هؤلاء المعلمون أكثر الجميع إصرارا على بقائي في سوريا شاعرين بظمئي الشديد إلى اللغة العربية والأدب العربي، وهو أمر كان من النادر أن يروه لدى المسافرين الأجانب. ولقد بدأت أحيانا أنا أيضا أفكر بجد في البقاء بسوريا. ولم أدر لماذا تملكني هذا الشعور بصفة خاصة، عندما كنت في بلدة لبنانية صغيرة هي بسكنتا حيث كانت هناك أيضا مدرسة روسية للجمعية الفلسطينية.

في بلدة لبنانية صغيرة هي بسكنتا حيث كانت هناك أيضا مدرسة روسية للجمعية الفلسطينية.

إن هذه المدارس الفقيرة الأثاث تم إقامتها بعد صدور الفرمان العثماني عام 1893، والسماح بتشييد البناء الروسي في الناصرة، و بعد أن وقع وكيل الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية ومفتش المؤسسات التعليمية المعماري وعالم الآثار الشهير شوماخر الألماني الذي سكن في حيفا. [21]

في تاريخ 25 أبريل 1901، وتشير الوثيقة التي أرسلها مساعد مفتش المؤسسات التعليمية في الجليل ب.ب.نيقولايفسكيا إلى مجلس الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية إلى موافقة المهندس الألماني وعالم الآثار شوماخر* على مباشرة البناء في مشروع

إقامة البنايات الروسية، حيث جاء " من أجل وضع خارطة وخطة البناء فمن الضروري أن يعرف شوماخر عدد الغرف في البنايات المقترحة.

والمبلغ الذي سيصرف على كل بناية و في مكان آخر تقول الوثيقة " أبدى شوماخر استعداده أن يأخذ على عاتقه البناء في عمارات وبنايات الجمعية حسب الشروط التي اتفق مع البارون روتشيلد في البناء في ريشون والسامرة، والجمعيات الإنكليزية في طبريا وصفد".

وتشير إحدى الوثائق التي أرسلت من الناصرة في تاريخ 3 أب 1906، و فيها وصف عن المدارس والسمينار في الناصرة، حيث كتب من مدير المدرسة قسطندي.ي. قنازع وهو معلم المدرسة منذ تاريخ 15 أيلول 1900 وهو خريج السمينار في الناصرة من الفوج الأول، وهو معلم الفتيان ومساعدوه الثلاثة أيضا خريجو السمينار في الناصرة، بالنسبة لعدد الطلاب فهو يتراوح بين 80-120 طالبا. والتعليم مجاني وعدا عن تعليم اللغة العربية فإن المواضيع الأخرى يتم تعلمها كما هو الحال في مدرسة روسية [22] أما مدرسة البنات فيقول عنها المفتش الروسي استومين "المدرسة تعود بالمنفعة الكبيرة على البنات حيث ومن على المقاعد الدراسية يتعلمن كل شيء جديد وضروري للحياة في العائلة" وكما في مدارس الناصرة الأخرى فإن مدارس البنات تهتم اهتماما كبيرا بموضوع الأشغال اليدوية وكذلك على تعليم الأخلاق والدين للبنات.

ويشير الكاتب فؤاد فرح في كتابه التجارة الحية والمسيحيون العرب في الديار المقدسة إلى أهمية هذه المدارس فيكتب (ص 55) " تنافس الروس مع الغرب في إقامة المدارس، خاصة بعد تأسيس الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية سنة 1882 التي سبقتها الإرساليات الروسية في القدس، إذ اعتبر الروس فلسطين مركزا لنشاطهم ومصالحهم في بلاد الشام، أقامت الجمعية 23 مدرسة للذكور والإناث في القرى الفلسطينية و معهدا لتدريب المعلمين في الناصرة، تخرج منه العديد من أساطين الأدب والمربين ممن كان لهم تأثير كبير على النهضة الأدبية والفكرية العربية أمثال الأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة، وبندلي الجوزي، والبروفيسورة كلثوم عودة - المحاضرة الجامعية والنشيطة في الحركات السياسية في روسيا، والشاعر اسكندر الخوري البيتجالي، وخليل بيدس رائد الفن القصصي في فلسطين، وفارس نمر، وسليم قبعين، والأديب نسيب عريضة.

كانت الجمعية توزع الكتب واللوازم المدرسية مجانا على تلاميذها، إضافة إلى الإعفاء التام من رسوم التدريس، كما بعثت بالمتفوقين في الدراسة على حسابها إلى روسيا لإكمال دراساتهم، وكما أشار الباحث حنا أبو حنا في دراسته حول السمينار في الناصرة حول اهتمام الإدارة الروسية بتعليم اللغة العربية، ومراعاة الخصائص القومية للعرب، يشير إلى ذلك أيضا السيد فؤاد فرح في دراسته حول المسيحيين العرب في الديار المقدسة حين كتب "من الجدير بالذكر أن المدارس الروسية راعت الخصائص القومية للسكان العرب وشمل برنامجها تدريس التاريخ والأدب العربي كما اعتمدت عكس المدارس الثانوية الغربية، التدريس باللغة العربية" [23]

وقد دأبت إدارة السمينار وإدارة الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية على إرسال أفضل المربين والمختصين في مسائل التربية والتعليم الروس ومنهم المستعربين، وفي عام 1908 قامت الجمعية برعاية بعثة المستعرب طالب الكلية الشرقية في جامعة سانت بطرسبورغ أغناتي كراتشكوفسكي إلى فلسطين وسوريا، وقد اهتم كراتشكوفسكي أثناء تواجده في الشرق بكل ما يدور في العالم العربي من نشاط ثقافي علمي وأدبي، وأمضى الساعات يبحث عن المخطوطات العربية ويتعلم اللهجات العربية المختلفة.

وقد وصل إلى بيروت في 5 ايار 1908 في الساعة الثالثة ظهرا، ومنذ اللحظات الأولى لوصوله اهتم باللغة العربية وحاول أن يظهر معرفته بهذه اللغة، إلا أن "الفشل والهزيمة" كانت من نصيبه في المرحلة الأولى وبالتحديد مع "الحمال" الذي لم يجد أية طريقة للتفاهم معه باللغة العربية، إلى أن جاءت صاحبة الفندق وأنقذت الموقف. وتصف ذلك كلثوم عودة فاسيليفا على لسان كراتشوفسكي الذي حكى لها هذه الحكاية " احتجت وأنا في الفندق إلى الحبر فتوجهت إلى العاملين في الفندق باللغة العربية الأدبية الفصحى اطلب المداد. لكنهم لم يفهموني وعندما بدأت أشرح بالإشارات ما أطلبه قالت الخادمة، قل هذا من قبل : جيبولي الحبر وليس أعطني المداد" [24].

ويشير الباحث الأمريكي من أصل يوناني ستاورو ثيوفانس جورج في رسالته المكرسة لنيل من جامعة انديانا الأمريكية عام 1961 والمكرسة لتاريخ الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية إلى الصراع الذي كان دائرا بين مختلف الهيئات والإرساليات التبشيرية في فلسطين خاصة ما بين الروس الأرثوذكس والكاثوليك والأرثوذكس اليونانيين

فيقول " إن نشاط الحجيج الروسي لم يمر دون ملاحظات واعتراضات زعماء المسيحية الآخرين في فلسطين. وخاصة من الأجنحة الخارجية للكاثوليك واليونان وخاصة الاخير".

وقد نظرت الكنيسة اليونانية إلى الكنيسة الروسية كمنافس، خاصة وأن الطائفة الأرثوذكسية العربية كانت بحاجة إلى من يرعاها أمام اضطهاد واستغلال الكنائس الغربية الكاثوليكية والبروتستانية وغيرها للطوائف العربية المسيحية. لذلك فقد وضع الروس نصب أعينهم منافسة هذه البعثات والإرساليات عن طريق استمالة الطوائف العربية وتعليمها في المدارس الروسية باللغة القومية، أي اللغة العربية. وتحدث كلثوم عودة عن تعارف كراتشكوفسكي بالمدارس الروسية في الناصرة وعن إنقاذه للغة العربية لدرجة أن والدها لم يعرف أن هذا الشخص روسي وقد كتبت أستاذ المدارس الروسية كلثوم عودة وهي تقدم الطالب كراتشكوفسكي عند وصولها إلى الناصرة "لقد كان شابا وسيم وجه ذكيا ويشع فرحا وخيرا. وأفضل ما كان في وجهه عيونه البراقة التي أشعت بنور مميز حال بدأ بالحديث معي باللغة العربية. وهذا أزال كل الحواجز المعتادة في الدقائق الأولى للتعارف. وتحدث باللهجة السورية كأنه عربي حقيقي" وتحدث كلثوم عودة عند دعوتها لكراتشكوفسكيا إلى بيت أهلها مع أصدقاء لكراتشكوفسكيا إلى أبيها قائلة إن هذا روسي لكنه يعرف العربية وعندما ذهب الضيوف صاح بي أبي ألا تخجلين أن تقولي إن هذا العربي هو روسي ؟! وسألت عمن تحدث من هو العربي. كيف من ؟ هذا الشاب - العربي لقد ضحكت من أعماقي. لكن أبي لم يصدقني. وقليلا ما يستقبل كما أغناتي يوليانفتش في لبنان، لقد تكلم اللهجة السورية بطلاقة متناهية فقد كان ينطق الكلمات والأحرف وفقط بهذا استطعت أن اقنع أبي وتؤكد البروفسور دولينا هذه الحقيقة، بعد سنتين من إقامة كراتشكوفسكي في الشرق استطاع أن يتقن اللهجات العربية لدرجة ان ماسح الأحذية في القاهرة ايضا كان يستقبله ويتعامل معه كعربي سوري.

فليس أب كلثوم عودة فقط تعامل معه كعربي بل ماسح الأحذية في القاهرة أيضا الذي قال: "لا تلعب في دماغي، أي روسي أنت" [25].؟

لقد ظلت هذه الصداقة التي بدأت في الناصرة مستمرة في الدورات التعليمية وعلى مقاعد الدراسة في سانت بطرسبورغ، وقد استطاع كراتشكوفسكي أن يصل إلى الدفاع عن رسالة الماجستير في جامعة سانت بطرسبورغ بعد أن دافع عن رسالة الماجستير،

وكان دفاعه في 17 أيار 1915. وكان الأساتذة المراجعون لرسالة الماجستير كل من ميدنيكوف ن.أ وشميدت أ.ي وكانت الرسالة تحت عنوان أبو الفرج الوأواء الدمشقي مواد لتشخيص الإبداع الشعري، وقدمها للدفاع عن رسالة الماجستير، وتضمنت هذه الرسالة نقدا للنصوص الواردة في الديوان (حوالي 1700 بيت شعري) مع إشارات وملاحظات وترجمة كاملة إلى اللغة الروسية وبحثا شاملا حوالي (200 صفحة) كما أشار في هذه الرسالة إلى تأثير شعر المتنبي وأبي تمام على شعر الوأوأ. ويقف بروفسور دولينا في كتابها "حافظ العهد " كيف تمت مناقشة هذه الرسالة الهامة التي دافع بها كراتشوفسكي عن رسالة الماجستير، التي أظهرت معرفة كبيرة "فهذا العمل أظهر كراتشوفسكي نفسه عن مقدرته على وضع قطعة متكاملة للبحث وتطوير أعماله السابقة وأنه قادر ليس فقط على أشياء صغيرة بل يستطيع أن يقوم ببحث يعتمد النظرية والتحليل واستخلاص النتائج العلمية، "وقد قام أحد أبناء العرب ممن كانوا يعملون في الكلية الشرقية وهو السوري أ.ف خشاب. الذي قدم تقريرا سلبيا حول عمل كراتشكوفسكي، وانتقد نشر هذه الدراسة "لقد كان خطاب خشاب غير ودي بتاتا رغم العلاقات الطيبة الإبداعية التي جمعت خشاب مع كراتشكوفسكي.[26]

وقد انتقد صدور ديوان "الوأواء" على الرغم من أنه خلال العمل وتحضير الديوان للنشر قام كراتشكوفسكي باستشارة خشاب، وقد أثار هذا الأمر استهجان جميع أعضاء المجمع العلمي و الكلية، ومن بينهم العرب الذين حضروا الدفاع ويعرفون اللغة العربية جيدا ومنهم طالب الأكاديمية الروحية (الأسقف العربي ديب فرح)، وهو سوري كان يعتصر غضبا في مكانه ومستعدا للعراك مع خشاب، أما كلثوم عودة فكانت تغلي من شدة الحنق على هذا التقرير، لكن اثنين من أعضاء المجلس استقبلوا ملاحظات أ.ف خشاب بتأييد تام، كان هؤلاء ف.أ جوكوفسكي و ف.د سميرنوف"، وفي هذا الصدد يقول كراتشكوفسكي في كتابه في المخطوطات العربية حول عمله مع العالم شميدت أ.ي فيقول "وكان كرمنا قريبا إلى الآخر تماما بفضل عملنا معا في كرسي الاستعراب، فحملته على أن يبدأ في آخر الأمر بطبع رسالته وأن يتغلب على عدم الثقة في نفسه وقوته، وهو المرض الذي أصابه وكان عملانا يسيران في خطين متوازيين وفي وقت واحد، طبعت رسالته وطبعت رسالتي عن الشاعر الوأوأ ولقد كانت الحوائل كثيرة والأمور تتحرك في بطء، وكان شميدت يتأرجح مرارا ويقوم أحيانا من جديد بطبع كل المادة التي أعدها، وكان في رسالتي الماجستير نص عربي صفت حروفه في هولندا في مطبعة (بريل) المعروفة

لدى جميع الألمان، وبفضل النشاط الأدبي للعالمة كلثوم استطاع كراتشكوفسكي أن يقرأ تاريخ الأدب العربي الحديث، ففي ذلك العهد كان الوصول إلى العالم العربي من الصعب، فالحرب العالمية حالت دون الاتصال مع الدولة الجديدة السوفييتية، وكان كراتشكوفسكي كما كتب " وكان ذلك سببا في قطع ما بيني وبين العالم العربي لمدة طويلة"، ورحت أبحث بظمأ عن كل أخبار الأدب واكتشفت رويدا رويدا أنه قد حدثت فيه حركة كبيرة في بحر عشرة أعوام (كراتشكوفسكي مع المخطوطات)ص 106.

وتقوم كلثوم عودة بمساعدة بعض أساتذة الكلية الشرقية بتأليف كتاب " نصوص الأدب العربي الحديث" ومنهم سميونوف. د، ف. الذي كتب فصل في نصوص في اللهجات المحكية للغة العربية، ويوشمانوف، ن.ف.الذي أعد فصلا حول قواعد اللغة العربية، (ونماذج من الأدب العربي الحديث) كتبته كلثوم عودة وأصبح مرجعا وكتابا لجميع طلبة الاستشراق. ولا يزال حتى يومنا هذا يستعمله طلاب الكلية الشرقية في جامعة سانت بطرسبرغ وجامعات روسية أخرى. وقد تم هذا بعد أن بدأت كلثوم عودة التي تعلم اللغة العربية عام 1924 بالعمل في الكلية الشرقية إلى جانب د. ف. سيميونوف المستشرق الذي بدأ عمله في الكلية الشرقية عام 1923 م. [27]

لقد كان كراتشكوفسكي أكثر من غيره من المستشرقين حماسا لأن يشمل موضوع (الأدب العربي الحديث) جدران الاستعراب الروسي، وكثيرا ما كانت تقابل أفكاره وبرامجه العلمية بالشكوك والنقد، خاصة من أولئك الحزبيين الذين كانوا يطلقون اتهاماتهم اتجاهه كعميل للبرجوازية والفكر الأرستقراطي، وفي إحدى المؤتمرات في موسكو يقف أحد تلاميذ كراتشكوفسكي في سان بطرسبورغ ليهاجم أفكاره الاستشراقية !، وقد قرر البروفسور بليايف. ي. أ. أن ينظم مسرحية للعالم كراتشكوفسكي في تقييمه للمحاضرة عن الكاتب المصري محمود تيمور، قدمها أحد المشاركين في المؤتمر، فقال بلييف في تعليقه (هكذا إذا أيها الرفاق أمامكم ثمار المدرسة البرجوازية لكراتشكوفسكي فمن وجهة نظر المحاضر السياسية فإنه يتجاهل المبادئ اللينينية حول حزبية الأدب، ولا يقدم النقد اللاذع، ولا يهاجم المهاترة البرجوازية، بل يعدد بعض الكتاب البرجوازيين المحدودين ويعتبرهم من التقدميين. هؤلاء الذين لا يعكسون في إبداعهم النضال الطبقي ولا الحركة الشيوعية ولا يدعون في أعمالهم الجماهير إلى الوقوف في وجه المستعمرين الانجليز بل يبشرون بالإنسانية المطلقة) [28] داليننا،ص 387.

كانت هذه الجملة كافية في ذلك العهد الستاليني إدخال اي مفكر أو عالم للاعتقال والسجن، أما الكاتب المصري محمود تيمور الذي ربطته علاقات جيدة مع كراتشكوفسكي في ذلك العهد الستاليني سيطر الفكر الستاليني الذي لخصه يوسف ستالين في كتابه "حول المسألة اللينينية" عام 1975 م، وكانت تصل العالم العربي بعض النقاشات الدائرة في الحركة الشيوعية العالمية عن طريق الأحزاب الشيوعية العربية التي تأسست عام 1917، فالكاتب جوركي هو كاتب البروليتاريا أما دوستويفسكي فعالمه عالم البرجوازية فكتبت (الطليعة)المصرية، إن عالم غوركي هو عالم الثوار من فقراء وعمال ومشردين. ولا يشابه عالم دوستويفسكي - عالم البرجوازية الصغيرة، لقد كتب غوركي عن المستقبل المتفائل الوضاء للبشرية بغض النظر عن مأساة ذلك العصر (الطليعة العربية، عدد آذار 1968).

لقد اشتد الصراع الدولي أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعد ذلك خاصة وأن القوى والمعسكر الرأسمالي وقف بالمرصاد للمعسكر الاشتراكي، الذي بدأ يطور نفسه واقتصاده وفق النظرية العمالية وأفكار الماركسية اللينينية ويقول بول كيندي في كتابه "القوى العظمى" (من 1500 - 2000)[29] الوضع الاقتصادي في العهد الستاليني مشيرا إلى أن ستالين وهجومه الجنوني على العديد من القطاعات الشعبية أدى في نهاية الأمر إلى نتائج خطيرة على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فقد تم سجن الموظفين والمديرين والفنيين والأخصائيين وقادة العمال إلى داخل المعسكرات، مما أدى إلى زيادة في العجز في الأيدي المدربة، في حين أدى الرعب بالكثيرين إلى إظهار الولاء للنظام، فقد أدى كذلك إلى الاختفاء والابتكار والتجريب والنقاش المفتوح والنقد البناء، فكان أبسط شيء يفعله المرء هو تجنب تحمل المسؤولية، والحصول على تصديق الموظف الأعلى في أصغر الأشياء، والطاعة الآلية لأي أمر يصدر بصرف النظر عن الظروف المحلية، عند هجوم بليايف على أعمال ونشاط كراتشكوفسكي ومحاضرته حول محمود تيمور " البرجوازية " بل قامت بالرد (الطليعة العربية، عدد آذار 1968).

وكان هذا كافيا لإدخالها السجن الذي بالفعل دخلته كما حدثتني بذلك ابنتها فاليري كاراتايف . فكتبت كلثوم في مذكراتها" لا أستطيع أن أقول إنني استمعت إلى ما قيل بهدوء - لم يكن لدي أي تجربة في نقاشات كهذه، لقد استمعت وخشيت أنني لن أستطيع الحديث والرد كما يجب، وعندما أعطوني حق الكلام وهم يتوقعون أن اعترف بخطأ، سكت فصرحت في البداية إلى العديد من الملاحظات ومن ثم قلت تقريبا

الأمر التالي "الأكاديمي كراتشكوفسكي قد لا يكون ماركسيا لكنه يعلمنا كيف نعالج الأدب من وجهة تاريخية ومن هذه الزاوية لا يمكن مطالبة الكاتب المصري في سنوات العشرينات من القرن أن يؤيد ويؤمن بالأساليب بالمدرسة الاشتراكية والواقعية، فالواقعية في الأدب العربي كانت قد ولدت للتو. وهو (محمود تيمور ع. م) قام بتطوير ونشر هذا الأدب كأحد القصصيين الطلائعيين. أما فيما يتعلق بوجهات نظره السياسية البرجوازية فإن الرفيق ستالين قال عام 1926 في كتابه " حول المسائل اللينينية " ان صراع التجار المصريين والمثقفين تعتبر نضالا موضوعيا وثوريا، لأنها تضعف وتنهك البرجوازية، وإذا كان الأمر كذلك فإن إبداع تيمور في سنوات العشرين يعتبر موضوعيا وثوريا".[30]

لقد اندسّ جميع أعوان السلطة الستالينية في جميع نواحي الحياة الثقافية السياسية والاقتصادية يراقبون تحركات الناس، ولم يسلم منهم حتى العلماء بل كان العلماء أول من عانى من الاضطهاد الفكري فتحول جواسيس السلطة الستالينية إلى مدافعين عن الأفكار الماركسية اللينينية، وأصبحت عبارات عدو الشعب تهمة عقابها الرصاص وتحت شعار الحفاظ على الطبقة العاملة والفلاحين. ارتكبت أبشع أنواع الجرائم، وأصبح الحزب هو المحراب الذي يلجأ إليه الجميع للصلاة " للفرد" أو القائد الذي تجسدت فيه "روح" الشيوعية، ومن الطبيعي في مثل هذه الأوضاع أن تم قمع اللغة العربية في جميع الجمهوريات الإسلامية، وتم دثر هذا التراث الكبير والعميق. ويصبح كل عالم أو مفكر أو مستعرب يغار على هذا التراث او يبحث عنه مهتما بالأفكار البرجوازية بأمراض الرأسمالية. وتصبح لغة القرآن الكريم لغة العرب من الممنوعات. وتهيمن بعض القوى الخفية من مستشارين سريين وعلنيين على أجهزة الحزب الستاليني ويصبح بيري الذي سيعدم بالرصاص لاحقا على تآمره على النظام الستاليني، ويشير الباحث السوفيتي بروفيسور لاند ر، غ، في كتابه "الإسلام في تاريخ روسيا" أنه وبعد أن عزز من سلطته عام 1927 بدأ ستالين بحملة تطهير ومعالجة جميع معارضيه وقمع منافسيه ومنتقديه، بل كل من لا يوافقه الرأي.

وفي عام 1928 ظهرت للوجود قضية السلطان غاليف، الذي اتهم بعلاقات مع التنظيم القومي في القرم "فرقة الملة، mili firka"، وهي فرقة كان ستالين قد أباد أعضاءها في عهد الإرهاب الحزبي عام 1921، هذا الإرهاب الذي أشعلته في القرم اللجان الثورية المحلية في القرم التابعة للحزب الشيوعي الروسي برئاسة الزعيمة السابقة للهنجاريين السوفييت بيلا كونا التي قالت : "(القرم زجاجة لن يخرج منها أي شخص من معارضي

الثورة)"(يبدو ان بيلا كونا تعرفت على الجن الذي حبسه علاء الدين في زجاجة ألف ليلة وليلة) وكذلك شخص أخر هو ر، س، زيملاجكي وحسب كلام س.ب ميلغونوف فقد تم إعدام من -50 150 ألف شخص تحت مختلف الذرائع، ومن بينهم كان (عناصر تترية) لجأوا إلى اجتماعات (اجتماعات الأعداء للثورة في المساجد) لقد وقف كراتشكوفسكي وكلثوم عودة ضد هذه الأعمال وحاولوا بقدر المستطاع المحافظة على أجسادهم ليعملوا داخل هذا الجو الإرهابي في المحافظة على ما تبقى من آثار شرقية في نظام بدأ ينظرا إلى كل ما هو "شرقي" وكل من ينتمي إلى التراث المكتوب بالأحرف العربية في آسيا الوسطى والقفقاس كرديف للماضي الإقطاعي المتخلف الواجب القضاء عليه كليا (أنظر لاند الإسلام في روسيا)* باسم الثورة وباسم الطبقة العاملة.

لقد ابتعدت القيادة الستالينية ومستشاري ستالين عن نداء الثورة الاشتراكية، نداء مجلس مفوضي الشعب (إلى جميع المسلمين الكادحين في روسيا الشرق) الذي أكد على أن العقائد الإسلامية والعادات والتقاليد (حرة مصونة) يعاد في النداء "أيتها الشعوب المسلمة .... نظموا حياتكم القومية بحرية بلا عائق".

إن انحراف القيادة الستالينية عن التقاليد الأولى والمبادئ التي جاءت بها القيادة السوفيتية لتحقيق العدل والمساواة والرفاهية لأبناء الشعب، لعب دورا سلبيا في تاريخ الدولة الروسية على مدى سبعين عاما.

تشير الأحداث عام 1936 أن أحد المستشرقين الذي ترجموا كتاب رحلة أحمد بن فضلان إلى الروسية قد تم اعتقاله والحكم عليه لمدة خمسة أعوام في منطقة خاركوف. كان هذا المستشرق كافيلفسكي أ.ب الذي حصل على درجته العلمية وتعلم في معهد لازاروف، وتخصص في دراسة المخطوطات والوثائق والمصادر العربية في تاريخ شرق أوروبا وروسيا.

وتكتب البروفيسورة دولينيا "كانت أعوام 1937-1938 عام الاعتقالات للعاملين في دائرة اللغة العربية في المعاهد وكان أكثر الاعتقالات حساسية لكراتشكوفسكي اعتقال أ.ب كافيليفسكي واحد من أهم الباحثين في برنامج دراسة المصادر العربية في تاريخ شعوب الاتحاد السوفيتي" وتذكر البروفيسورة دالينيا قائمة المعتقلين من المستعربين، وكان بينهم كلثوم عودة فاسيليفا، وقبلها أ.ف اسكندرووف و أ.م شامي وزوجته س.ي

روغينسكايا تلميذة كراتشكوفسكي كما اعتقلوا طالب الكلية الشرقية ت.أ شوموفسكي، الذي بدأ عمله مع العالم كراتشكوفسكي حول المصادر الجغرافية البحرية، وقد تم الإفراج عن كلثوم عودة عام 1939، إن حملة اضطهاد وترويع المستعربين من قبل السلطات كانت ترافقها حملة ضد كل ما ينتمي إلى البحث الأكاديمي العلمي الموضوعي، الذي كان هدفه الوصول إلى الحقيقة، ولكن المجتمع ودولة كانت تحكمها السلطة التي جعلت من الحزب "دينا" ومن القائد "إلها" دفعت بالكثيرين إلى المحرقة؛ إن كان ذلك على يد السلطة الداخلية وقوى الأمن الداخلي في ظل النظام الداخلي أو في الحروب التي نشبت في أوروبا في الحرب العالمية الأولى والثانية التي راح ضحيتها ملايين من الناس.

حول هذا الموضوع كتبت البروفيسورة أولغا فرالوفا رد العالم ميدنيكوف ودانتسغ، وهي دراسات تشيد بفضل العرب في دراسة تاريخ روسيا والحفاظ عليه مثل كتب الرحالة ابن فضلان وابن خرداذابه والإدريسي وغيرهم.

إن الستالينية التي راح ضحيتها الملايين من البشر كل ذلك نتيجة الصراع في أوروبا بين اليمين المتطرف وتحول الفكر الاشتراكي إلى فكر متجمد متصلب لا يقبل الآخر ويتحول إلى يساري متطرف يميل إلى الفاشية، ويحاول اليوم علماء الاجتماع في الغرب الأوروبي والشرق الأوروبي دراسة الحداثة التي أصبحت كلاسيكية ووضعية جافة وعرقية مركزية، فكانت تجربة الاستعمار والحربان العالميتان و ظاهرة الفاشية والنازية والفكر الستاليني حطمت الكثير من المثل و التراث، و منها على تراث شعوب الشرق الإسلامي لأسباب حتى الآن يدرسها المؤرخون ولا يجدون أي تفسير منطقي لهذه الجريمة الكبرى التي تستحق البحث والتنقيب، وكثيرون من الأوساط الغربية ذات التوجهات المعادية للعرب ويربطون هذه الفترة العصيبة من تاريخ الإنسانية بظهور النشاط المعادي للثقافة الدينية في روسيا، و تغلغل الكثيرون من المستشارين المستشرقين والمختصين بالشؤون الإسلامية والعربية الذين اعتقدوا وآمنوا بأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين من روسيا قد تساعد في نشر الفكر الشيوعي والاشتراكي، الأمر الذي قد يساعد في نشر هذه الأفكار في مجتمعات منعزلة مغلقة. وقد تكون تلك الرسائل التي كان يتلقاها كراتشكوفسكي من الأصدقاء العرب من باحثين ومفكرين وطلاب سابقين و طالبات في المدارس الروسية سببا وجيها للاستخبارات الستالينية في سؤال العالم الروسي عن أبحاثه كما جاء في رسالة الإعجاب والتقدير من بهية فرح ابنة فلسطين التي درست مع كلثوم عودة في السيمينار في بيت

جالا والتي كتب كراتشكوفسكي عام 1935 من مدينة غزة في 11 تموز 1935 و جاء فيها " و نهض فريق المستشرقين الروسيين لإقامة حفلة تكريمية من اليوم الرابع عشر من الشهر الماضي أي وقت وصول جواب الأخت كلثوم (و تعني كلثوم عودة) التي أخبرتني باجتماعكم و تذكركم لي بعد انقضاء زمنا طويلا على فراقنا"[31].

لقد ظهرت خدماتك بعد ثلاثين سنة فأقيمت لك حفلة واحدة، و كان يجب أن تقام لك عدة حفلات، ...، يجب أن تفتخر الأوساط العربية و ترفع رأسها عاليا حيث تجد العبقري الروسي المستشرق يقوم بنشر ما أهمله التاريخ عن ماضيها المجيد في بلاد غربية في أوساط أوروبيين، يكتب عن إخلاص وبشغف عن ذاك الماضي الذي يعده كل عربي مفخرة له حقيقة وجدير بكل تقدير و اكرام و تذكر البروفسور دالينا طالبة سمينار بيت جالا بهية فرح في كتابها حافظ العهد من الطالبات والمعلمات مستقبلا، والتي ظلت على صلة مع العالم كراتشكوفسكي ومع البروفيسورة كلثوم عودة. ويبدو من خلال هذه الرسالة أن لبهية فرح كانت مراسلات مع البروفيسور كلثوم عودة لكن للأسف لم نحصل على أكثر من ذلك في وثائق أخرى. كي نشرح بإسهاب عن تلك العلاقة والصلات.

لقد كان كراتشكوفسكي معلما وأستاذا لكلثوم عودة، التي يمكن اعتبارها تلميذة هذا العالم الجليل الذي أخذ بيدها بصبر وأناء وأرشدها، وعرفها بالنظام التعليمي وبمدرسة الاستشراق في سانت بطرسبورغ للاستشراق.

و تكتب كلثوم في مذكراتها " لقد كان يطلب من مساعديه الكثير". * اكاديمية العلوم الروسية ارشيف كراتشكوفسكي.

و قد كان يطالب أن يعرفوا جيدا المادة التي يعلمونها، لكنه كان يخشى دائما أن يخدش ثقتهم بأنفسهم. في أحد الأيام توجه إلي، وقال " اطلب منك أن تساعدني في تدريس أحد طلبة، حيث أنني أجد صعوبة أحيانا في فهم بعض الأمثلة أو بعض الكلمات و لكنني فهمت حالا أنه يريد أن يساعدني وليس العكس أن أقوم بمساعدته" *

و سرعان ما أصبح كتاب كلثوم عودة "نصوص في الأدب العربي الحديث" مرجعا للطلاب و للمحاضرات في مجال الأدب العربي. و قد قيم كراتشكوفسكي عمل كلثوم و كتابها بما يلي " إن تعليم اللغة العربية في معهد الاستشراق يعتمد عليها، وإن كتابها الدراسي

في الأدب العربي الحديث كان عاملا محفزا لدراسة الأدب العربي في أوروبا. بأسلوب علمي في أوروبا و أمريكا وحتى في الدول العربية نفسها. و أصبح نموذجا لتجارب مشابهة".

أطلق النظام الستاليني سراح كلثوم عودة عام 1939 و كان لهذا السجن الأثر السلبي على علاقتها بالعالم كراتشكوفسكي، إذ إنها و بعد أن خرجت من السجن حاولت العودة مرة أخرى إلى العمل لكن الآن في البحث العلمي في معهد الاستشراق، الى جانب كراتشكوفسكي لكن هذا الأخير و على ما يبدو و رفض قبولها إلى هذا العمل. و تورد البروفسور دولينينا نص الرسالة من تاريخ 4.1.1940 والتي كتبتها كلثوم عودة إلى كراتشكوفسكي و فيها شيء من العتاب، حيث تقول " اذا ما كنتم تعتقدون انني غير قادرة على العمل في البحث العلمي فإنني أشعر و كأنني كنت قد خنت خدعت ظنونكم في عملي كمعلمة" ص 289 - "دولينينا انا اركاديفنا حافظ العهد. *

لقد أجاب كراتشكوفسكي على هذه الرسالة و كان لديه عادة أن يسجل على المغلف النقاط التي ينوي أن يجيب عليها في رسالته، و يبدو أن كراتشكوفسكي و بعد الاعتقال خشي من قبولها مرة أخرى خشية من ملاحقته.

و ترجح دولينينا أن ليس كراتشكوفسكي الذي خشي ذلك، بل الإدارة الجامعية و إدارة معهد الاستشراق هم الذين رفضوا قبولها. علما أن كراتشكوفسكي اوضح موقفه بصراحة أن العمل العلمي والبحث العلمي ليس في وسعها. و في النهاية تم قبولها لكلية الاستشراق لتدريس اللغة العربية في الجامعة.

و مع بداية الحرب سافرت هي و عائلتها من لينينغراد إلى موسكو، حيث تم دعوتها للعمل في المدرسة الدبلوماسية العليا في موسكو.

رسائل من بلاد الشام
انطونيوس الخوري من دمشق إلى قازان
1930-1923

يكتب الكاتب أنطونيوس الخوري وقد هاجر إلى روسيا، وتعلم فيها وأصبح مدرسا للعربية في مدينة قازان، يعمل في جامعتها في تعليم اللغة وآداب العربية، وينشط في تعريف الروس للأدب والفكر العربي، وهو يعتز اعتزازا كبيرا لما يقوم به صديقه كراتشكوفسكي من عمل تجاه القضية العربية، فيكتب في تاريخ 17 حزيران 1923 فيقول "وبعد فقد طالعت ما نشرتموه من الدرر البهية على صفحات "الشرق " من الأكاديمية العربية في دمشق بملء الارتياح والسرور. وكسوري لم يسعفني السكوت من شكركم، وعن انتهاز الفرصة لتقديم ما يليق بكم من الإكرام على حسن ظنكم بنا نحن أبناء سوريا وعنايتكم بآدابنا والحركة الفكرية في وطننا المحبوب"[32]

وهو يؤكد في رسالته أن الروس وخاصة في مدينة موسكو وبتروغراد يعملون على تطوير وتقوية الشرقيات، ويعنني علم الاستشراق الروسي بكل جدية، فيقول "كل هذا يقوي في الاعتقاد بأن أصدقاء العربيات في بتروغراد وموسكو وأشد الجميع ولاء وتعلقا بها هو الأستاذ المحترم غنطوس. وهذا ما حملني على التقدم إليكم يا سيدي الأخ للافتقار بالطرق الموصلة إلى تعرف الأكاديمية العربية بأعمال الروس في دائرة العربيات على اختلاف أسئلتها، وجهاد أبطالها الذين أنتم أولهم، وإطلاع الروس أيضا على الحركة الجديدة في الحياة الفكرية السورية على يدكم".

لقد كان أنطونيوس الخوري على علاقة مع الوطن الأم سوريا، وكان يهتم دائما بالحصول على المواد والكتابات والمطبوعات الجديدة الصادرة في سوريا، فيكتب "أنا بالكاد حصلت على جرائد دمشق واسكندرونة ("سوريا الجديدة بدمشق "والخليج بالإسكندرية") في حين أن الأهل والأصدقاء قد أرسلوا ما ينيف على المائة من أمريكا وسوريا ومصر وأخيرا أوقفوا إرسالها بإيعازي لعدم وصولها ليدي. فهل عندكم حيلة للتمكن من وصولها سالمة. في الآونة الأخيرة تحت تأثير ما كتبتموه عن الأكاديمية العربية

افتكرت بكتابة مقالة مسهبة عن تاريخ نشأة الشرقيات في روسيا باللغة العربية" [33]

ويشكو أنطونيوس في رسالته من معاملة العربية في قازان، وتخصيص ساعات قليلة في المعهد لتعليم اللغة العربية، وهو يسأل كراتشكوفسكي فهل يجوز لنا ان نسمي الأربع ساعات المكرسة في فتوح الشرقيات لتعليم اللغة العربية فقط في جميع صفوفه عربيات ؟ أما ذوي النفوس من التتر الذين يرون في فروع الشرقيات منتدى تتريا خاصا بهم فعنياتهم منصرفة، ليس نحو الأبحاث العلمية الشرقية بل نحو ما يمكن تطبيقه على حاجة أبناء جلدتهم الأدبية وما يكون عضدا لهم على رفع حالتهم المدنية الروحية".

إن نشاط انطونيوس ظل متواصلا في الأدبيات السورية وقد قام بمراسلة العديد من المجلات السورية فهو يكتب مقالة يرسلها إلى أخيه نعيم إبراهيم الخوري حول "صدى الأكاديمية العربية في دمشق بين مستشرقي الروس ومردوده"، وقد رجوت شقيقي نعيم إبراهيم الخوري بتحرير خاص، أنه إذا حصل على مقالتي بدون أن تلعب بها أيدي المراقبين أن يجتهد بنشرها، أما في المقتبس بدمشق او في المشرق عند صديقكم الأب لويس شيخو او بالهلال، ص، 8)، ويشير إلى الرقابة الصارمة الروسية التي تمنع وصول الإرساليات إلى يده. فيكتب رجوته أن يضع اسم أكاديمية العلوم "سيردع المراقبين عن خطفها"وكتب مقتبسا بيت الشعر العربي:

أعلل النفس بالآمال أرقبها   ما أصعب العيش لولا فسحة الأمل

بعد ما كتبتموه لي من التشجيع بشأن العربيات في البلاد الروسية أصبحت لا شاغل لي إلا جمع اللازم لذلك "رسالة بتاريخ 6 اب 1923.

وفي رسالة بتاريخ -24 تشرين ثاني يهتم الكاتب انطونيوس الخوري برسالة وصلت إلى أخيه نعيم من رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق محمد كرد علي، الذي يطلب فيها عنوان العلامة كراتشكوفسكي وعنوان أخيه انطونيوس في قازان، ويورد أنطونيوس في رسالته ما كتبه محمد كرد علي لأخيه "انتهى إلي أيدكم الله ما تفضل أخوكم الفاضل السيد انطونيوس بتعريبه في بتروغراد بشأن المجمع العلمي العربي، وإنني أشكر لشقيقكم عنايته العظيمة بهذه الترجمة، لأن المجمع يهتم جدا لما يقال عنه وفيه، فأرجو تكتبوا للأخ بشكر المجمع على عنايته وأننا سننشر قطعة في مجلة المجمع الذي يحرص على فتح أسباب الصلات العلمية مع كل

علماء العربية والمستعربين"[34]

لقد اهتم أنطونيوس اهتماما كبيرا بالمخطوطات العربية في قازان، فهو يكتب أن عندنا في كازانسوى ما أخال انكم مطلعون عليه من مخطوطات الجامعة، يوجد عدد كبير من المخطوطات العربية المهمة في الطبيعيات والدين والفلسفة والطب وغير ذلك. وقد أخذت على نفسي أمر وصفها لإتحاف الأكاديمية العربية ببعض المعلومات ولكن البرد شديد في المكان الموجودة فيه من جراء عدم إيقاده بتاتا، لا يسمح بالقعود فيه للعمل ولا يجيزون أخذها إلى المنزل لدرسها ويخال لي من تداول الحديث مع بعض التتار، بأنه توجد كنوز عظيمة بين مسلمي روسية من الكتب العربية والفارسية الثمينة وربما النادرة المبعثرة هنا وهناك، وقلما هنا أعاروها أذنا صاغية وهو يشير بمرارة إلى ما تعانيه علوم الاستشراق في مدينة قازان، التي كان يدرس فيها بندلي جوزي أيضا العربية فيكتب لا أعلم لماذا حتى الآن لا يوجد العدد الرابع من مجلة الشرق قد انتظرت أيضا بفارغ الصبر ف. ن، كريانينا الذي كتبتم عنه فلم أحصل عليه لعدم وجوده. إن قازان خالية من جميع الكتب الشرقية. وأنا بنفسي قد تعجبت مما ذكرتموه عن تلك الكتب في انتقادكم في حين أنني دائما أفتش عن كل ما يتعلق بسوريا على الخصوص، وبالبلاد العربية على العموم من ترجمة أو من أقلام العلامة الروسيين فلم أحظ إلا بالقليل غير الشافي غلة. مرض الشرقيات معضل في قازان، وهو ينتظر طبيب ماهر ولا أعلم هل يتسنى له ذلك أم ؟

وفي النهاية يشير إلى غرف المراقبة الستالينية فيسأل "هل وصلتكم الكتب المرسلة من المجمع العلمي أم صار حظها القعود تحت غبار غرف المراقبة ؟"

جبران خليل جبران في رسالة انطونيوس [35]

في رسالتها إلى كراتشكوفسكي يعالج أنطونيوس ويتطرق إلى إبداع الكاتب الأديب الكبير جبران خليل جبران، فهو في نظره كاتب فذ رسام موهبة عظيمة لم تسعه سوريا لأن سوريا وما فيها لم يستطع أن يسع روحه الكبيرة الحرة الشاعرة بضعفنا، والعارفة بدقة دوائنا اللازم لاجتماعنا "ص.17

وجبران خليل جبران ادخل الكاتب ليس فقط بقوالبه الشعرية الخلابة والرقيقة، بل مبادئه ذاتها على تربة الغرب " ولا ريب أن اجتماع الموهبتين في جبران تجعله في

المنزلة الأولى ومن النوادر بين الكتّاب العصريين بالإجمال. داخل الكأس نقي وجميل عند جبران، وأهم ما يشغل الناظر المتعمق في صور روح جبران تلك الحرية المطلقة غير المصبوغة والمقيدة بدعوة من الدعوات البشرية سياسة كانت أو دينية وغير الخارجة عن حدود الأدب الحقيقي الروحي النامي، لا تحت تأثير العوامل الخارجية بل الداخلية التي تمو وتزهر هناك في أقصى أعماق القلب البشري النقي الصالح، فأنا أنظر إلى ما ابتكرته روح جبران من هذا القبيل، وهو في عيني كبير جداً من هذا النحو، وأكبر بكثير من السن الموجودة فيه سوريا الآن " إن جبران الرسام هو من أعظم الرسامين الخالدين، كما يذكر انطونيوس في رسالته ورسمه لعظماء العرب الخالدين ابن خلدون وابن سينا والمتنبي والفارض قد رسمها فنان ماهر" وجميع ما في مجموعة جبران من رسوم الرجال العظام الذين قرأت عنهم بنات أفكارهم، لم ينقصوا شيئا مما صورته مخيلتي عنهم، ولو كنت مصورا لما تجاوزت في رسمي لهم تلك الملاح والنظرات التي وضعها لهم جبران، فهذه عين ما ارتسمت في ذهني عنهم مطالعة ما أبقوه لنا من الكنوز الروحية .

إن رسائل انطونيوس هي تاريخ للعلوم في قازان ففي رسالته المؤرخة في يكتب عن اغلاق جامعة العلوم الروحية في قازان الغنية جدا بالكتب والمخطوطات، وهو يشير إلى ضباط المعارف في قازان، قد اجتمعوا للبحث في مصير هذه المكتبة لكنهم لم يتفقوا على شيء بشأنها. ويذكر مدير (تتار أرخيف)الأرشيف التتري أحد المتحمسين للحفاظ على هذه المكتبة الغنية بالمخطوطات الشرقية "صديقي المجاهد في سبيل حفظها، والذي عمل حتى الآن على سلامتها قد أنبا أكاديمية العلوم عن أحوال هذه المكتبة التي بمجلداتها تنيف عن مائة وخمسين ألف تسمية، من بينها النادرة جدا في جميع العلوم التاريخية والفلسفية والكاتب يتوجه إلى كراتشكوفسكي أن يتدخل لحماية هذه المكتبة فيكتب "بما أن صوتكم سيكون له تأثير، نأمل وكلنا رجاء بأنكم تجتهدوا بإقناع أكاديمية العلوم أن تأخذ هذه المكتبة تحت حمايتها، أو على الأقل بتأثيرها الأولي تعمل على حفظها من التقسيم لئلا تلعب بها أيدي الشتات والضياع، كما وقع مع المكتبات الروحية "وهو يحاول أن يثير مشاعر كراتشكوفسكي الوطنية للقيام والدفاع عن هذه الكنوز الوطنية فيكتب" لئلا تلعب بها أيدي الشتات والضياع، كما وقع ذلك مع كل المكاتب الروحية وأكثر مكاتب المدارس التي حلتها العساكر أوان الحرب الأهلية. لا تظنوا أن ذلك متأت عن تعصبي، بل لمحض ميلي ومحبتي لحفظ هذا الكنز الثمين الذي بعناية واهتمام وشق النفس قد جمع في مدة تقترب من القرن. فإذا كان هذا الشعور يخالج الغريب الوطنية ألا يلزم أن يكون

زائد الروسي الوطني. هذا الفكر وحده يدعوني إلى الاعتقاد بأنكم لا تتخلون عن هذه المكتبة، 25 اذار 1924.(36)

لقد أعلن النظام الستاليني أكبر حملة ضد كل شيء يمت للدين بصلة والكتب السماوية فيكفي أن يكون الكتّاب قد بدأ مقدمته الكاتب ب(البسملة)، كي يختفي من السوق أو يتلف أو لا يصل إلى صاحبه كما حدث مع انطونيوس حين كان ينتظر بعض الكتب التي لم تصله، فهو يكتب عن كتب طرفة طلبكم ديوان طرفة قد نفذته مع الجهد القاصي، وأرسلته لكم البارحة حسب إشارتكم. وهو من نكد الطالع قد وقع في عداد الكتب المغضوب عليها، ولولا الصداقة لم أتمكن من الحصول عليه، وقد صار غيره من الكتب العربية اللغوية فريسة الحجز، ولا داعي لذلك سوى أنها مفتتح "بالبسملة".

وفي هذه الرسالة يشير الكاتب إلى معاناته من شظف العيش، والصعوبات الحياتية الوجودية في مدينة قازان، وهو يشير إلى المعاش الضئيل الذي يتقاضاه والذي لا يكفيه، فهو سيغادر إلى دمشق إلى سوريا وطنه إن لم تتحسن الأوضاع "لأنني بسبب ضيق العيش الذي يؤثر على اشتغالي بما يختص بالعربيات وبالحياة العربية بلا جمال قد صممت النية في الصيف القادم إن سمحت لي الأحوال الحاضرة على مغادرة روسية إلى الوطن فقد عرض عليه المعهد للغات الشرقية في قازان العمل بستة ساعات، وهذا حسب اعتقاده عدد محدود جدا من الساعات وشروط العمل صعبة.

رسائل العالم السوري أحمد الرفاعي

من بين الرسائل الهامة التي عثرت عليها والمحفوظة في الأرشيف رسائل العالم العربي السوري أحمد الرفاعي والمؤرخة في 17-3-1935، وأهمية هذه الرسائل تكمن فيما تحتويه من مضامين. إذ ينصب الاهتمام على العلاقات العربية الروسية منذ ألف عام، هذه العلاقات التي تحدثت عنها الكتب والرسائل والمخطوطات والتي يعود تاريخها إلى ألف عام وتشير الرسالة إلى معرفة الكاتب أحمد الرفاعي وثقافته الواسعة واهتمامه بدور العرب الريادي في علوم الجغرافية والاتنوغرافية وتاريخ الشعوب والباع الطويلة للعلماء الجغرافيين العرب في هذا المضمار. وتأثر هؤلاء العلماء في دراسة تاريخ الشعوب السلافية. فيكتب من حلب في تاريخ 17-4-1935 رسالة يقول فيها : "أما الموسوعة، ويعني الموسوعة

الإسلامية فإنني لم أقتنيها إلى الآن، ولا أكتمكم أنها لم تخطر على بالي مع أن العلامة الأمير بشير ارسلان قد استقى منها المعلومات عن تاريخ الأمم الإسلامية في حاشيته على كتاب حاضر العالم الإسلامي" (37)

ويعبر الرفاعي عن تقديره الكبير لهذا العالم الروسي الجليل كراتشكوفسكي الذي كرس حياته لدراسة تاريخ الشرق والحضارة العربية وألف عشرات الكتب ومئات المقالات صدرت بمختلف لغات العالم في تراث العرب والمسلمين، ودور العرب في بناء الحضارة الإنسانية فيكتب "وإني يا سيدي الفاضل لجد نخور لتعرفي إلى رجل العلم والتحقيق الفذ في شخص حضرتكم، ولجد سعيد بهذه الفرصة التي أتاحت لي هذا التعارف، فأنا اقدم إليكم مع شكري القلبي أسمى عواطف امتناني، لا زلتم منارا للعلم ومنهلا لرواده

إن أهمية رسائل العالم السوري أحمد الرفاعي إلى زميله الروسي أنها كتبت في مرحلة كانت تعيش فيه الدول العربية في شبه قطيعة مع النظام الستاليني الحاكم لاتحاد الجمهوريات السوفيتية، حيث مارس أبشع أنواع القمع ضد العلماء والمفكرين المعارضين لسلطة جوزيف ستالين الدكتاتورية. ولم تسلم من هذه السياسة القمعية تراث الإسلام والعرب في الاتحاد السوفيتي حتى اللغة العربية في ظل "دولة العمال والفلاحين "الستالينية حيث يدين أكثر من 20 بالمائة بالدين الإسلامي. وكان معظم السكان المسلمين في الجمهوريات الإسلامية يكتبون بالأحرف العربية، ويتقنون العربية من خلال قراءة القران الكريم ويعرفون أداب العرب وتاريخهم المجيد وتراثهم الإسلامي الذي أصبح من الممنوعات. وقام ستالين بحرب همجية ضد هذه اللغة، وخسرت روسيا والحضارة الإنسانية كنوز من الثقافة والمخطوطات العربية تحت تهمة "معاداة الثورة البلشفية "، كما وتم القضاء على الكثير من العلماء المسلمين جسديا وأبيدت الكثير من المؤلفات في تاريخ العرب والمسلمين وأصبح تداول العربية من الممنوعات. وتحت ذريعة معاداة الحزب تم تهجير معظم علماء روسيا ونفيهم او سجنهم. وتشير البروفيسور أنا دولينيا في كتابها عن كراتشكوفسكي حول اضطهاد نظام ستالين وتعرضه للعالم كراتشكوفسكي، وسجنه لأسباب تافهة منها مراسلته بعض علماء الإسلام.

ولم يكن غريبا في تلك الفترة والأحوال والظروف، أن تكون رسالة أحمد بن فضلان أو غيره من الكتاب العرب، وعند وصول الرسائل إلى بوابة السجن الحديدي للشعب

السوفيتي من أن تتحول هذه الرسائل إلى تهمة، وسببا في ملاحقة أو دعوة العلماء للتحقيق لدى أجهزة القمع الستاليني.

على الرغم من ذلك فقد استمر التواصل بين الكتّاب الرواد العرب الذين فتحوا أبواب التواصل مع "الآخر" الروسي فرسالة العالم الرفاعي تحث كراتشكوفسكي وتشجعه على الاهتمام برسائل ومخطوطات العرب التي تحدثت عن القبائل السلافية، وهو موضوع كان ولا يزال يشغل الباحثين والمثقفين من كلا الجانبين الروسي والعربي (من المعاصرين دياكوف فرالوفا،تشتستيكوف، ياكوشوف، ريزفان، ناؤومكين، راديونوف، بروزوروف، خاليدوف وغيرهم من الأسماء)

ومعرفة الآخر كانت سببا ودافعا لظهور أدب الرحلات عند العرب القدماء، وتطور هذا الأدب دليل على أهمية توسع معارف العرب حول الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم،

ويشير أحمد الرافعي في رسالتها إلى الرحالة العربي أحمد بن فضلان مبعوث الخليفة العربي المقتدر بالله (295-320 هجري)ا إلى بلاد الخزر والترك والروس والصقالبة، ولم يكن هذا الاهتمام مصادفة، بل يدل بشكل قاطع على ثقافة الكاتب الواسعة، حيث ستصبح هذه المسألة موضوعا للبحث والتحقيق في الستينات من القرن المنصرم، فيقوم الكاتب العربي د، سامي الدهان بتحقيق هذه الرسالة الهامة حول تاريخ الروس وعاداتهم.

فيكتب الرفاعي رسالة إلى كراتشكوفسكي بعد حصوله على عنوان كراتشكوفسكي من صديقه على الناصر، ويقول "سيدي الأستاذ العلامة الفاضل المحترم وبعد، فإني مدين بعنوان حضرتكم لصديقي الشاعر الطيب على الناصر فقد عرضت لنا قضية تاريخية لم نجد لتحقيقها وسيلة سوى عرضها على حضرتكم. لي صديق يؤلف كتابا في تاريخ الأمم السلاوية (يعني السلافية) الشرقية في القرون الوسطى، وسيعرض هذا الكتاب بعد برهة يسيرة، على شعبة التاريخ في جامعة الأستانة، وقد كتب يسألني عما قاله الرحالة العرب بخاصة ومؤرخوهم عامة عن مناسبات العرب بالأمم السلاوية الشرقية في القرون الوسطى وعما اذا كان رحالة العرب أمّوا أقطارهم وتحدثوا عن أحوالهم الاجتماعية. فلم أعثر فيما بين أيدينا من الكتب إلا على يسير لا يؤبه له فمن ذلك ما ذكره ابن بطوطة رحالة العرب عن بلاد البلغار، فقد اقتصر على ذكر قصر الليل وطول النهار في تلك البلاد، ومن ذلك ما أشار إليه المسعودي باختصار عن رحلة ابن فضلان أيام المقتدر العباسي، وما أثبته من تقسيم

الأمم السلاوية إلى قبائل، ثم ما نقله الحموي في معجم البلدان في مادتي (بلغار وصقلب) عن رحلة ابن فضلان المذكورة أيضا، فهو محشو بخرافات كثيرة ليس لها قيمة تاريخية، وإني ليغلب عندي الشك في صحة ما ذكره ابن فضلان، هذا من أساب رحلته وتفاصيله، كما أنني وجدت تقييم القبائل السلاوية الذي ذكره المسعودي مضطربا فيه خليط كثير قد يكون ناشئا عن تحريف الأسماء السلاوية حسبما تقتضيه اللهجة العربية عن زيارات الرواة. ولذلك لم أجد في كل هذا ما يكشف حقيقة ويبدد تحليلا"[38]

ويؤكد الأستاذ الرفاعي حقيقة هامة أغفلها تاريخ دراسات الحضارة العربية طويلا، هو دور العرب في دراسة وتوثيق تاريخ الشعوب الأخرى، وتدوين الانطباعات والمعلومات الهامة حول حياة الشعوب الاجتماعية والثقافية الاقتصادية في عصور ومراحل تاريخية بعيدة وغابرة.

وفي أرشيف كراتشكوفسكي وجدت ردا للعلامة كراتشكوفسكي على رسالة الرفاعي يقول فيها "هأنذا أجيبكم بكل عجلة وأقول إن المصادر العربية المتعلقة بأحوال الأمم السلافية كثيرة جدا وإن كانت متفرقة في مواضيع شتى وقد كتب عنا كثير لا سيما في اللغات السلافية ولا سيما رسالة ابن فضلان التي وجد منها أخيرا نسخة في مشهد (بلاد الفرس) أتم وأصح من التي نعرفها بواسطة ياقوت الحموي. وأغلب الظن أنكم تجدون كل ما يفيدكم ويغنيكم عن تقليب كتب كثيرة من المقالات المتعلقة بهذا الموضوع المنتشرة في دائرة المعارف الإسلامية، وهي لا يخفى على ذهنكم الوقاد طبعت باللغات الألمانية والفرنسية والإنكليزية في ليدن من بلاد هولندا وفيها تجدون المقالات عن بلغار وابن فضلان والخزر والسلافية الخ حسب المصادر العربية وهي مكتوبة بقلم العلامة المرحوم بارتولد الأستاذ وهو من المطلعين في هذه المسائل. لكم طرق أخرى في معرفة هذه المسائل، فلان يشتغل بها كثيرا الأستاذ احمد زكي وليدي الذي اكتشف رسالة ابن فضلان في مشهد وقد ألف بحثا مطولا عنها، وهو نازل الان في فيينا عاصمة بلاد النمسا".

لقد تناول العديد من المؤرخين والباحثين العرب والروس مسألة الأقليات بين الشعوب السلافية والشرق العربي والإسلامي حيث تناولت البروفيسور اولغا فرالوفا من جامعة سانت بطرسبورغ رسالة ومخطوطة أبي الفدا إسماعيل ابن الأثير والتي تتحدث عن الشعوب السلافية كما تناول العلامة بارتولد كتابات الجغرافيين العرب حول تاريخ روسيا

القديم، ويشار هنا إلى أن النظرة الإسلامية" للآخر " لم تكن واحدة فنجد تمييزا في الاهتمام ما بين البيزنطيين والصقالبة والفرنجة حيث احتلت روما والقسطنطينية المكان الأبرز في الذهنية الإسلامية

لم يكن اهتمام العرب ورسائل الأستاذ أحمد الرفاعي الوحيدة بين الرسائل الكثيرة التي وصلت إلى العالم كراتشكوفسكي من كتّاب عرب آخرين، من بينهم عميد الأدب العربي طه حسين وأمين الريحاني، ومحمد كرد علي الذي ترأّس مجمع اللغة العربية في دمشق، والذي يشير في رسالته إلى اهتمام مجمع اللغة العربية بمقالات كراتشكوفسكي، ويخصص بعض الصفحات لنشر مقال للعلامة الروسي في مجلة المجمع العلمي فيكتب العالم محمد كرد علي في رسالة مؤرخة في 24- 5- 1924 "حضرة الأستاذ العلامة السيد غنطوس كراتشكوفسكي المحترم بعد السلام والإكرام أقول، وصل رقيمكم الكريم المؤرخ في 30 نيسان 1924 فتلوناه شاكرين تلطفكم وحسن ظنكم بنا، وقد نشرنا لكم مقالتين في الجزء الخامس الذي صدر من مجلتنا في الشهر الحالي وبعثنا إليكم بالأجزاء الناقصة من المجلة ونحن مستعدون لإرسال كل ما تطلبونه مما نقدر عليه".

رسائل الرفاعي وصورة الآخر لدى الجغرافيين العرب

كما ذكرنا فإن اهتمام وإلحاح الرفاعي في رسالته إلى العالم الروسي كراتشكوفسكي لمعرفة ما كتبه العرب عن روسيا، قد تحول هذا الموضوع إلى أهم المسائل التي تشغل مراكز البحث والدراسات، خاصة تلك التي تعالج مسالة الحوار الحضاري بين الشعوب.

فقد كانت صورة الغرب محكومة لدى الجغرافيين المسلمين بعدة عناصر وعوامل، أهمها الأدب الإغريقي والأثر اليوناني في الجغرافية الإسلامية وقد أخذ العرب عن اليونانيين تقسيم العالم إلى أقاليم، فأخذ العلماء العرب بتقسيم بطليموس العالم إلى سبعة أقسام، وركزوا في كتاباتهم على الإقليم الرابع، الذي فضل على الأقاليم الأخرى وهو الإقليم الذي تقع فيه أوروبا.

وكانت الوفود الرسمية التي تأتي إلى أوروبا تترك الأوصاف والملاحظات والمشاهدات، ومن هذه السفارات تلك البعثة البرية التي أرسلها الخليفة العباسي الواثق بالله (227-232 هجري) إلى بلاد الخزر، حيث يقع سد يأجوج ومأجوج، وقد احتفظ وترك لنا الجزري

-توفي عام 1338 م - في كتابه (حوادث الزمان) بفقرات من الأوصاف والمعلومات عن سكان المناطق التي زارها البعثة، وتقدم هذه المعلومات نمطا لنظرة ابن الحضارة الإسلامية لغيره، وهي نظرة وتصور القادم من الاقليم المعتدل والعاصمة المزدهرة والبلد المسلم إلى بلد البرد والمدن المتباعدة المتناثرة والسكان الذين يبدون غريبين في عباداتهم وطقوسهم، بل وحتى في أشكالهم.

أما رحلة ابن فضلان في القرن التاسع الميلادي فتبين المستوى الحضاري الذي كان عليه الصقالبة والروس وهو مستوى متدن بحسب ابن فضلان القادم من عاصمة الخلافة العباسية إذا أنه يشير أن هدف البعثة تقديم العون المادي والثقافي والتعليمي لأقوام أضعف وأقل ثقافة ومعرفة. وفي الرسالة وصف دقيق لأخلاق هذه الشعوب وعاداتهم وطريقة حياة الروس والصقالبة وملابسهم ومأكلهم[39].

لقد قيم العلماء العرب والروس الأدب الجغرافي العربي، ووضعوا هذا العلم في المقام الأول، ويعتبره العالم بارتولد " أثمن مخلفات الحضارة الإسلامية، فيكتب "الأدب الجغرافي العربي الذي يجدر بحق أن يسمى أثمن مخلفات الحضارة الإسلامية عن القرنين الرابع والخامس (العاشر والحادي عشر الميلاديين)، يدلنا على وثاقة العلاقات المدنية. وقد أظهرت خرائط بلاد الخلافة والمسائل الحسابية الأولى الخاصة بعلم الهيئة، في بغداد وفي قصر المأمون أن الكتاب الذي ألّفه في القرن الرابع أبو زيد البلخي تلميذ الكندي طبقة الإصطخري أولا ثم طبقة ابن حوقل أحد تجار إفريقية الشمالية. إننا نجد مفصلة عن البلاد الإسلامية من إسبانيا إلى تركستان والسند. توصف المدن الكبرى التي في تلك البلاد، وتحصى الصناعات كما تذكر معلومات صحيحة واضحة عن محصول الارض.

وقد استعان العرب بالنجوم المتلألئة في السماء الزرقاء في ترحالهم، واهتموا بوصف جزيرتهم وبمشاهدة أماكنها فيما تعرف باسم (الجغرافية الوصفية). وبسبب الجو الصافي ومناخ الجزيرة العربية ترك ذلك أثر كبير في تطور وتقدم العلوم الجغرافية عند العرب الذين أطلقوا عليها أحيانا اسم (علم الأنواء). وقد ساعدهم ذلك في الكشف عن الكثير من الكواكب والأجرام السماوية التي لا تزال تحمل أسماء عربية مثل زحل وعطارد والزهرة والمشتري وغيرها.

وطور العرب علم الجغرافيا الرياضية وهي مبنية على حسابات رياضية لتحركات

الأجرام السماوية في فلكها وقد ساعدهم في ذلك تطورهم في علم الحساب والمثلثات واللوغرثمات والجبر. ومع تقدم وتوسع الدولة العباسية ازدهرت الجغرافية البشرية. فقد امتدت الفتوحات العربية شرقا وغربا. وظهرت الخرائط والبيانات عن الشعوب الأخرى التي وقعت تحت حكم المسلمين، فظهر كتاب الخراج لقدامة بن جعفر (توفي 948)، وكتاب(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)لشمس الدين أبي عبد الله بن محمد احمد المعروف بالمقدسي (توفي عام 990 م)، وموسوعة جمال الدين أبي يحيى زكريا القزويني (توفي عام 1283 م)، وكتاب نخبة الدهر في (عجائب البر والبحر) لشمس الدين آبي عبد الله الدمشقي (توفي عام 1326م)

وقام العرب بتأليف المعاجم الجغرافية التي أثرت الحضارة الإنسانية بالمعلومات وأوصاف لعادات وأخلاق شعوب الأرض، مما جعلها من المصادر الأولى في أوروبا في القرون الوسطى، حيث انكب علماء ومترجمو الأدب العربي الأوروبيون على نقل الجغرافية العربية إلى لغاتهم. ولعبت هذه الترجمات دورا هاما في تطوير العلوم في أوروبا. ويجمع العلماء أن العرب قد سبقوا اليونان والرومان على كتابة الأدب الجغرافي.

ومن هنا فان رسائل الأستاذ أحمد الرفاعي من دمشق إلى العلامة كراتشكوفسكي المستشرق من سانت بطرسبورغ كانت هامة في حياة الاستعراب الروسي في إثراء هذا الاستعراب بكتاب هام كتبه فيما بعد، و نشره كراتشكوفسكي عن الأدب الجغرافي العربي. وكان لهذا المؤلف الأثر الكبير على علم الاستعراب الروسي والعالمي.

قائمة بأسماء الأدباء العرب الذين راسلوا اغناتي كراتشكوفسكي [40]

الرسائل المحفوظة في أرشيف أكاديمية العلوم الروسية في ملف كراتشكوفسكي رقم 1026 ملف رقم 3

رقم التسجيل	اسم المرسل	عدد الرسائل
44	عبد العزيز،علي، القاهرة، محرر مجلة	2
45	عبد الباقي، محمد فؤاد، القاهرة، ناشر	1
46	عبد الوهاب، التونسي، تونس، مؤرخ وعالم لغة	3
47	عبد الزكي، مصطفى، القاهرة	1
49	عبد، أنيف،مستخدم في إدارة المدارس الروسية	1
51	أبو شادي، أحمد زكي، القاهرة، كاتب	3
58	عقيقي، نجيب، القاهرة، كاتب	3
59	العقل ف، م، نيويورك بالانكليزية	1
79	عارف، حسان، صيدا، ناشر	2
81	عساكر، حامد محمود ، القاهرة ، مستشرق، ومؤرخ	1
84	عطايا،ميخائل، موسكو، مدرس وعالم	1
85	عطايا،جرجي بيروت، ناشر، وصحفي	1
89	أيوب، ذو النون ، بغداد، كاتب	1
108	بيك، محمد حلمي، مستشرق القاهرة بالفرنسية	2
136	بشر،فارس، كاتب، بادن بدرن برلين	5
225	وهبة، عساف، مدرس	23
313	داغر، يوسف اسد، بيروت، عالم لغة، ناشر	2
316	دهان، سامي، باريس، دمشق، مستشرق عالم لغة	3
380	فرح، بهية ، غزة، معلمة لغة عربية	1
360	جوزي، بندلي، قازان باكو، مستعرب، عالم لغة	159

369	زيات، حبيب، الاسكندرية، مستشرق	7
377	زيدان، جورجي القاهرة، ناشر	2
378	زيدان، جورجي	16
443-402	قبعين، سليم	106
430	كوزما، توفيق، مستعرب، كييف،	8
511	كرد، علي محمد، دمشق، عالم لغة	1
523	لاشين، محمود طاهر، القاهرة، كاتب	1
574	المغربي، عبد القادر، القاهرة عالم فيلسوف	1
575	مدور، جميل، بيروت.	2
588	معلوف،عيسى، رحلة مستشرق	2
647	المسيري، عبد المعطي، دمنهور، ناقد ادبي	2
659	الناصر، علي، حلب، شاعر	4
681	نعيمة، ميخائيل نيويورك بيروت كاتب (بالروسية ولعربية)	3
684	عودة، كلثوم، موسكو الناصرة ريغا اديبة بالروسية والعربية	10
761	ريحاني، البرت، بيروت،ناشر	2
762	ريحاني،امين، بيروت، كاتب	4
674	رفاعي، احمد، كاتب، حلب	2
806	صادر، يوسف، بيروت، ناشر	2
813	سركيس يوسف، القاهرة، عامل مكتبات	13
864	سوسة،احمد، بغداد	1
873	ترزي، فيليب، بيروت ناقد ادبي.	3
877	تيمور، احمد، القاهرة، عالم لغة	10
878	تيمور،محمود، القاهرة، كاتب	22
888	توم،انتوخيا، رجل دين	1
909	فرح، ب، القدس	1

910	فروخ، عمر، بيروت، ناقد أدبي	1
914	فهيم، راجية، القاهرة، عالم لغة بالانجليزية والعربية	4
935	حداد، بنيامين، رجل دين	1
941	خليل، تقي الدين، كاتب سياسي،موسكو	1
946	الحساني، عبد الرازق، بغداد، مؤرخ	2
947	حسونة، محمد،مستشرق	1
957	حتي، فيليب، برنستون، مستشرق ومؤرخ بالانكليزية والعربية	1
963	الخوري، اديب سعادة، يافا، مدرس لغة عربية	2
964	خوري، ارام، انطالية	1
965	خوري، انطوني ، قازان، مدرس لغة عربية	2
966	خوري، نعيم ابراهيم، حلب (شقيق خوري انطوني)	4
967	الخوري، حنا، سانت بطرسبورغ، كاتب	3
968	خوري، شكري، سان باولو، كاتب محرر مجلة	3
9	حسين، طه، القاهرة، كاتب	2
999	الشرتوني، توفيق، حسان	1
1074	يهودا، بائع كتب	1
1077	رسائل بلا توقيع وخطوط غير واضحة في هذه الرسائل عثرنا على رسالة واحدة للكاتب والصحفي الفلسطيني خليل بيدس، صاحب مجلة النفائس العصرية التي صدرت في حيفا والقدس منذ عام 1908،	

ملحق رسائل الأدباء العرب
رسائل الأدباء العرب إلى كراتشكوفسكي

الكاتب الفلسطيني سليم قبعين

سيدي العلامة المفضال

كلما مرت الايام يظهر لي برهان جديد يؤيد ما في ذهني من كرم أخلاقكم، ولطف شمائلكم وأطيب محبتكم، ولذلك فأنا أغبط نفسي لحصولي على هذا الصديق الصادق والأخ الوفي وليس لي إلا أن أسأل الله ليطيل بقاءه ويديم صفاءه ويزيد علاء.

آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألفين آمينا

والحق يقال فقد طوقتم جيدي بنعمة بل بنعم من كرمكم وفضلكم أشكركم عليها ما دام في عرق ينبض ونفس يدخل ويخرج فلا زلتم بدراً ساطعاً في سماء المكارم والفضل.

تناولت بطاقتكم التي تكرمتم بإرسالها من بيت المقدس لحمدته مقالي على بلاغكم الأراضي المقدسة سالمين غانمين وأرجو ان تناولوا منها ما يفيد الجسم والعقل والنفس واعذروني على قصوري وإبطائي في الإجابة فأنا مذنب ومهدأ، قد بذنبه فلا ذنب عليه، وإني أيها الأخ العزيز أشكركم على غيرتكم واهتمامكم بما جاء في جريدة (كيفلا نين) الساقطة التي تهرف بما لا تعرف.

مقدم لكم بطريق البريد ومضموناً كتاب النظرات، وهو أحسن كتاب ظهر هذا العام، لأنه جمع بين شيئين لم يستطع أحد من الكتّاب المجيدين أن يجمع بينهما، وهما قوة اللغة العربية في صدر الإسلام وحضارة العصر الحاضر، وهو أفضل كتاب في آداب اللغة العربية وآداب الناس في هذه الأيام، نعم، إن ثمن 20 قرشاً كثير، ولكنه ليس بالشيء المذكور حيال فوائده الغزيرة ومنافعه الكثيرة، وإني لأرجو أن يروق لكم، ويحسن في عينيكم. أنا وعائلتي جميعاً بخير نقدم لحضرتكم فروض المعايدة بعيد الفصح المجيد ونسأله أن

يعيده عليكم أياماً عديدة وأعواما مديدة بمزيد السعد والعز والتوفيق. وأرجو أن لا تقطعوا عنا رسائلكم الحسان من أي مكان كان. وإن شاء الله كلما ظهر في عالم المطبوعات كتاب مفيد سأرسله لكم في الحالة واقبلوا في الختام فائق الاحترام من المخلص الأمين.

سليم قبعين

ويتابع.....

وقد وصلني من كتابان أحدهما من بيربيا، والآخر من بر مرمرا وصلني أول أمس كتاب "لماذا خرج تولستوي الخ" فازداد شكري لحضرتكم ولا أدري ما أفعل لأكافئكم على معروفكم وفضلكم.

أرجح انني في شهر سبتمبر أسافر إلى سوريا - إلى الناصرة لأشاهد الأهل والخلان الذين مضت عشر سنوات ولم أر احداً في خلالها منهم فإن سافرت كتبت لحضرتكم قبل سفري بأيام. كتبت لزيدان أفندي ظرفين بعنوانكم وأظن انه يكتب في هذا الاسبوع.

جميع افراد عائلتي يقدمون لحضرتكم التحيات والإكرام وشرفوني بظل خدمة فإني رهين الإشارة مولاي،

المخلص

سليم قبعين

سيدي الكريم المفضال العلامة اغناطيوس كراتشكوفسكي المحترم:

أقدم لحضرتك الاكرام والاحترام وبعد، أرجوك عذراً لإبطائي في الإجابة عليك، لأن أشغالي المتراكمة في هذه الأيام، حالت دون ذلك وثق أيها الأخ الحميم والصديق الكريم أني غدوت غريق أبحر أفضالك، ومهما أجهدت قريحتي لتسديد حقك من الشكران واسدائك واجب الامتنان، لما استطعت إلى ذلك سبيلاً لأن نعمك توالت عليّ، وليس لي حيال ذلك إلا أن اسأل الله أن يطيل بقاؤك، ويزيد علاك، ويكثر من أمثالك بين الأصدقاء الأوفياء،

لا خيل عندي اهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

وصلتني حوالتك بخمسين فرنكاً وسأرسل لحضرتكم ما يظهر من كتب الأدب المفيدة، ثم وصلني كتابك الكريم وأخبرت في حينه حضرة أستاذنا الفاضل زيدان افندي بأنكم تطبقون رواية أفردتم له بها فصلاً خاصاً، ثم بعد أيام قليلة وصلتني تلك الرواية فطالعتها بمزيد الإمعان والرؤية، فرأيتكم قد خدمتم اللغة العربية خدمة جليلة في جمعكم تاريخ آدابها ونهضتها ومؤلفاتها، وأعجبني منكم حرية القول وانتقاداتكم التي أصبتم فيها محزّ الحقيقة، وفي النيابة عن نفسي وعن الناطقين بالضاد أقدم لحضرتكم مزيد الثناء، واسأله تعالى أن يديمكم بدراً ساطعاً في سماء الفضل والنبل وفي خلال مطالعتي لروايتكم وردني خطاب من زيدان افندي ومعه الرواية التي ارسلتموها له يطلب مني أن ألخص ما جاء فيها بشأنه، وبعد أيام قابلته وأخبرته ملخص لا يشفي الفؤاد لأنه في الحقيقة لا يمكن تلخيص روايتكم التي جمعت فأوعت إلا بعد تعريبها برمتها إلى اللغة العربية وقد باشرت تقريبها مع كثرة أشغالي في هذه الايام، وسأنجزها بأقرب وقت وفي الغالب سأطبعها على حدة، وأقدم نسخاً منها لكل من حروف وفرح انطون وزيدان وصاحب المنار وإلى جميع الجرائد العربية التي بالطبع ستكتب عنها كل واحدة ما يعن لها من استحسان واستهجان وسأجمع لكم جميع الجرائد العربية التي ستشير اليها، وأرسلها لكم حينه علمكم تستفيدون من الوقوف مقدار رقي الأمّة المصرية لأن كتّاب كل بلدة هم مرآة رقيها تم تقريبها وطبعها في أواسط أغسطس على الحساب الغربي، وأنا قد أخبرت حروفاً وفرح أنطون عما جاء بشأنهم وكلهم أصبحوا ينتظرون تقريبها بفارغ الصبر، ومن الآن أقول لكم إني لدي القريب ربما ضربت صفحاً عن الشواهد التي استشهدتم بها في ذيل كل صفحة وإني أرجح بأن التقريب سيعجبكم لأنه سيكون صورة طبعة الأصل وسأجتهد في ذلك ما استطعت اليه سبيلاً.

ابني نيقولا سافر منذ 13 يوماً إلى روسيا وسيقضي مدة شهر في كييف،

مصر في 8 يناير سنة 1911

سيدي العلامة المفضال المسيو اغناطيوس حفظك الله وأبقاك، لقد هجرتني يا مولاي هجراً طويلاً، وما كنت متعوداً من فضلك هذا الهجر فقد طالما عهدتك وفياً لإخوانك أميناً لأصدقائك، مضت الأشهر تلو بعضها، وأنا محروم من أخبارك وأفكارك السامية، وبينما انا تائه في لجج الأفكار إذ وصلتني مجلة- كيفلانين وقد تصفحت ما ورد فيها بصفحة -39 41 فعرفت من أول وهلة أن يراعكم دبج تلك المقالة الذرية والحق يقال، فقد ويشموني نعمة لا أنساها ما دمت حياً وقلتم عني أشياء لا أستحقها ولكن طيب عنصركم وغزير فضلكم أمليا عليكم ذلك فأنا أشكركما ما استطعت إلى الشكر سبيلاً وأسأل الله أن يديمكم عضواً للإخوان وأن يبقيكم كوكباً ساطعاً في سماء المكارم والفضل وهما شكرتكم فإن لساني يقصر عن إيفائكم حقكم من الشكر والامتياز، فأرجو تعذروني عن تقصيري في ذلك أرجو أن آخذ مع تلك المجلة كتابا

من حضرتكم ينبئني عنكم ويشفي غليل الغذاء المتعطش إلى استقاء ماء العلم الصافي من ذلك المورد العذب، ولكن بعد انتظار أيام معدودة خابت آمالي، ولكن أرجوكم أن لا تحرموني من بنات أفكاركم ودور ألفاظكم.

أنا الآن ما زلت في المدرسة، وقد عينت منذ شهرين محرراً في جريدة كبرى تدعى الشرقي، تصدر بثلاث لغات :العربية، والفرنسية والانكليزية، وهي تصدر في الصباح وبعد خروجي من المدرسة أقصد إدارتها فأصلها الساعة الخامسة مساءاً، وألبث فيها حتى الساعة التاسعة، وقد اشتركت بجريدة روسية وإني أعرب منها مقالات وأخبار تصادف دائماً استحسان القراء.

من المشروعات الخطيرة التي ظهرت بيننا مشروع أحياء آداب اللغة العربية، وتفصيل ذلك أن صديقكم سعادة أحمد بك زكي كان في صيف هذا العام في الأستانة، فنقب في مكاتبها فوجد هناك كثيراً من الكتب الخطية وقد اشتغل زمناً بنسخها بمساعدة فريق من النساخين، ولما عاد من الأستانة عرفها على نظارة المعارف المصرية، فقررت طبعها جميعها وطلبت اعتماداً حالياً لذلك فصادقت الحكومة عليه وقد شكر الناس لزكي بك هذه الهمة وقدروا حق قدره.

كان لرفاق الفيلسوف تولستوي رنة حزن في القاهرة وقد نظم أحمد بك شوقي شاعر الخديوي وحافظ أفندي إبراهيم قصيدتين نالتا إعجاب الناس على اختلاف الأجناس، وقد كتبت الجرائد العربية مقالات كثيرة، واقترحت عليّ أكثر الجرائد اليومية أن اكتب لها مقالات، فكتبت لكل واحدة مقالة مختلفة، وقد رسمت الجرائد رسمه واهتمت به اهتماما شديداً رحمه الله.

أرجو إذا كان يلزم لحضرتكم بعض الكتب من القاهرة أو جرائد أو شيء آخر أن تكلفوني به فأنا، مستعد لتقديم كل خدمة تلزم، مرسل لحضرتكم هذا الخطاب بواسطة الكلية الإمبراطورية ولا ادري هل يصلكم أم لا.

مع جميع أفراد عائلتي التي ما زالت تذكر لطفكم نقدم لكم فروض المعايدة بالسنة الجديدة ونسأل الله أن يعيدها عليكم اياماً لا تحصى وأعواماً لا نستقصي وحضرتكم بمزيد الخير والتوفيق والانشراح، وإني أختم كتابي هذا بتكرار عبارات الشكر لحضرتكم وأدامكم الله بخير لصديقكم المخلص.

سليم قبعين

عنواني الجديد..............

وأرضها المخصبة انتشاراً يضيء طريق السعادة المنزلية ويوصلهما إلى ذروة المجد والاستقلال. أجل ليفك أسر المرأة التي أوقعوها فيه باسم الدين، وما هو من الدين في شيء فالدين أسمح بما يظنون.

فكتب كتاب تحرير المرأة ثم أتبعه بكتاب المرأة الجديدة كتبتهما فهدم بها ركن سجنها وأحناء لها ظلمات الحياة المنزلية والزوجية وجعلها تحس بأنها أو الرجل لها احترامه، وأخته لها عطفه وحنانه. وزوجته لها من محبته لذاتها واعتبارها لمركزها كما هدى لذلك الدين العظيم والناس لا يعلمون.

كتب فأجاب ولم يخش منتقداً ولا لائماً ولم ينزله خوف الانتقاد عن فكرة من أفكاره ولا لفظ من ألفاظه.

توفي ليلة 22 ابريل سنة 1908

سيدي الأخ الفاضل

أهديك مزيد تحياتي وأشواقي الوافرة، وبعد، فإنه يحق لكم أن تسيئوا الظن بي لسكوتي الطويل ولكن لو عرفتم أسباب سكوتي لعذرتموني وغفرتم لي هذه الزلة التي ارتكبتها نحوكم، وتبرئة لنفسي أروي لحضرتكم تلك الأسباب لتكونوا على جلية من الأمر وتثقوا بأن سكوتي كان لأسباب هامة أرغمتني على ذلك فأقول:

سافرت في شهر سبتمبر الماضي إلى سوريا من حيفا ومنها قصدت الناصرة حيث حضرت - - - الاحتفال للمدرسة الداخلية الروسية ثم قصدت دمشق وبلاداً تسمى عجلون لمشاهدة أخ لي تاجر فيها وبعدها عدت إلى حيفا لأركب منها إحدى البواخر إلى القاهرة، ولكن لسوء حظي ظهرت فيها الكوليرا وامتنعت البواخر عن المرور عليها، فمكثت فيها وأنا على أحر من الجمر ثم هربت إلى دمشق ومنها إلى بيروت، وهناك أيضاً لم تقف البواخر، فلبثت شهراً ونصف وأنا قلق البال، لأن انتقالي تعطل، وأخيرا سافرت إلى القاهرة وقضيت في محجر الاسكندرية (الكرنتينا) عشرة أيام وبالاختصار وصلت القاهرة ميدان من شهران على افتتاح المدرسة وكنت في مركز مرج ماليّ ولولا أنه كان لدي أربعة أسهم من أوراق البنك العقاري المصري لقضي عليّ وعلى مستقبل أولادي، وكنت كتبت وأنا في سوريا إلى ابني أن يبيع تلك الأوراق ويدفع رسم المدارس عنه وعن أخيه وأخته، وينفقوا مما يتبقى من ثمن تلك الأوراق ريثما يرسل الله الفرج، وبعد أن عدت إلى القاهرة وفقني الله لإتمام جميع أعمالي التي كنت أزاولها من ذي قبل، ولكن ما اشتغلت شهراً حتى أصبت بألم في داخلي أنني وقيد الكشف الطبي قرر الطبيب الاختصاصي بأمراض الأنف أن في أنفي مرض يسمى:"بوليبوس" ولا يشفى إلا بعملية جراحية فرضخت لأمر الطبيب وسلمت نفسي وعمل لي عملية لازمت الفراش بعدها 15 يوماً لكنها نجحت بإذن الله نجاحاً تاماً، ولكن بعد أن تكبدت نفقات طائلة أضعفت حالتي المالية بعد أن شفيت وعدت إلى مزاولة أعمالي ذكرت حضرتكم والكتابين اللذين طلبتموهما مني فسألت في جميع المكاتب المصرية فلم أعثر لهما على أثر فكتبت إلى بيروت عدة خطابات بشأنهما، فأجبت أن لا أثر لهما، وأن طبعتهما نفذت وبعد البحث والاستقرار وتحمل التعب أتيح لي وجودهما في مكتبة أحد المصريين الخصوصية، فابتعت منه شرح على سقط الزند لأبي العلاء المعري بسبعين قرشاً صاغاً مصرياً، واشتريت منه كتاباً آخر يحتوي على ديوان سقط الزند وضوء السقط وجدول لتفسير الألفاظ الغامضة لكل منهما، فاشتريته منه بجمة عشرة

قرشاً ومرسل لكم أيضاً كتيباً صغيراً الحجم عربته ماري زيادة ابنة صاحبة جريدة المحروسة واسمه" ابتسامات ودموع"، وقد صادف استحسان قراءة العربية وهذه الكاتبة تعرب كتباً كثيرة بإمضاء مي وثمنه نصف فرنك ومرسل لحضرتكم ايضاً كتاب"أين الانسان" للشيخ طنطاوي الجوهري وثمنه ستة قروش صاغ" وقد ظهرت في المدة الأخيرة بعض كتب مفيدة تهم المستشرقين فيه منها كتاب الرباعيات لعمر الخيام الفارسي نقله أمين أفندي البستاني شعراً إلى العربية، وثمنه عشرة قرو فإذا كان يلزمكم أو غيره عرفوني حتى أرسله لكم، مطلوبكم من الكتب وفي الختام أرجوكم أن تقدروني على قصوري وسكوتي وعلماً مني بما جبلتم عليه من كرم الأخلاق وسعة الصدر، فتروني واثقاً بكم وبأنكم لا تحملون شيئاً في نفسكم ضدي واعلموا أني مستعد لكل، جميعهم يقدمون لحضرتكم فروض الاحترامات وجميعنا نقدم لكم فروض المعايدة بعيد الفصح المجيد ونسأله تعالى أن يعيده على حضرتكم أعواماً عديدة بمزيد الصفاء والهناء وأقبل في الختام مزيد الاكرام والتحيات العاطرة من أخيك المخلص.

سليم قبعين

أرجوك ان تخبرني عن جريدة يومية اسلامية تصدر في روسيا باللغة الروسية إن كان في كازان أو بطرسبرج أو أوفا أو باكو أو غيرها من المدن الروسية وإن كان في الإمكان إرسال نسخة منها أو نسخ أكون لحضرتكم من الشاكرين الممنونين.

مصر 16 نوفمبر سنة 1912

سيدي الأخ الكريم والصديق الحميم أدامه الله بدرا في سماء المعارف المنير افتتح خطابي بتقديم التهاني بقرانك الميمون سائلاً المولى تعالى أن يجعله سعيداً وفاتحة حياة جديدة مملوءة بالهناء والصفاء والمسرات ورغد العيش، أرجوك أن تنوب عنا بتقديم تهانينا الخالصة إلى حضرة السيدة الفاضلة قرينتكم.

أرجوك غض الطرف عن تقصيري في إجابة طلبكم، لأن الأعمال كانت متراكمة عليّ شواغل الحياة حالت بيني وبين إجابة صديق كريم احتفظ بصداقته رسوخ حبه في مهجتي رسوخ الجبال الراسيات وأكبر سبب أخرني عن إجابة الطلب هو البحث عن ترجمة حياة المرحوم قاسم بك أمين، فإن هذه الترجمة لا ذكر لها في كتبه التي طبعت في حياته وبعد وفاته، وهو نقص فادح ومسألة هامة أغفلها كتابنا سامحهم الله، وقد عثرت في جريدة الجريدة على كلام طويل تأبينا له لدى وفاته منه ما هو مرسل الآن ضمه خطابي هذا، ومرسل لحضرتكم أيضاً كتاب تحرير المرأة من الطبعة الثانية التي طبعها خليل بك صادق صاحب مكتبة الشعب وإني من صميم فؤادي أرجوك غض الطرف ومسامحتي عن هذا القصور الشائن.

كنت منذ أيام قليلة مع زكي باشا سكرتير مجلس العالم الإسلامي في مقالتكم الأخيرة عن الجرائد والمجلات العربية، فنشكركم شكراً وافراً كما نشكركم على مداومة إرسال هذه المحبة التي أجني منها فوائد جزيلة. ثم إن زكي باشا كان قد طبع على خطابكم الذي كنتم أرسلتموه له، ومراده أن يأخذ صورة منه بالفوتوغراف ثم يطبعها في كتاب جارٍ طبعه الآن، ودفع إلي صورة من - - - الخطاب وطلب إلي أن أبعث بها لحضرتكم، ورجاني أن أعتذر لكم عن قصوره في الكتابة لأن أوقاته كلها مشغولة ولا يمكن مكاتبة أحد الآن وطلب إلي أن أكون رسولاً بينكم وبينه ففعلت، وترون علّم بقلم الرصاص على الكتاب وهو يطلب من حضرتكم أن تزيدوا إيضاحاً عنه وشرحاً عن كل ما تعرفونه عنه شرحاً ويرجو الإسراع في ذلك لأنه محتاج إلى ذلك لوضعه في الكتاب الذي يطبعه الآن وسيذكر القائم في ذلك الكتاب، ويُظهر للناس اشتغال المستشرقين الروسيين باللغة العربية، وترد في منظر بفارغ الصبر ما ترسلونه لأقدمه لسعادته، وهو يقول إنه يمكنكم الكتابة إما باللغة العربية أو بالفرنسية والخيار لكم في ذلك.

وفي الختام أقول إنكم تروني مستعداً لكل خدمة، لأني في هذه الأيام لست بمشغول كثيراً، عائلتي تقدم لحضرتكم مع قرينتكم أسمى التحيات القلبية واقبلوا

الاحترام،

من المخلص سليم قبعين

مصر 27 كانون ثاني شرقي و9 يناير سنة 1911

سيدي العلامة المفضال المسيو كراتشكوفسكي المحترم بيد الإعزاز والإكرام، تناولت اليوم رسالتك الكريمة، وسررت بها سروراً لا أزيد عليه وخصوصاً بعد ذلك الفراق الطويل الذي دعاني إلى الظنون بأنكم نسيتموني، ولم أعد أخطر لكم ببال، ولكن ضميري كان يحدثني بخلاف ذلك، ورجحت لا بد وأن طرأ عليكم طارئ منعكم عن مكاتبتي وقلت إن الأشغال تشغل الإنسان عن ذكر أخلص أصدقائه وأحبائه، وقد حققت رسالتكم الكريمة ظنوني، وعلمت أسباب انقطاعكم عن المكاتبة.

أيها الأخ الصادق:

إني أصرح لك بما يخالج فؤادي من نحوك فاعلم أن حبك راسخ في فؤادي رسوخ الجبال الراسيات ولن يزعزعه مرور الأيام فأنا على البعد والقرب أحبائي أنتم -أحسن الدهر أم أسا- فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخلّ

تقول الأمثال العربية -البعد جفا- ولكن أقول معاً "أن البعد حرام" والله إني مشتاق إلى رؤياك والاستنارة بمحياك، وسماع تلك الألفاظ العذبة التي تفوق الماء السلسبيل رقةً وعذوبة، فلا تحرمني منها أيها الصديق، وأنا أعهد أنك طاهر الفؤاد، كريم السجايا، موصوف بالحنان والألفاظ سررت جداً لتكليفك هذا العاجز ببعض المهام، وأعلم أني أُعد نفسي سعيداً بتقديم ما يلزم من الخدمة مهما كانت كبيرة، ومن غرائب الصدف أني كنت قبل ورود خطابكم بيوم موجوداً في مكتبة الهلال وأخبرني إبراهيم أفندي بأن لكم عنده مبلغا من المال بقي من حوالة أرسلتموها وسألني ماذا يفعل بتلك القيمة فقلت له أبقها عندك ريثما يطلبها صاحبها منك.

الكتب التي طلبتموها أرسلتها يوم ورود خطابكم فإني ذهبت حالاً إلى مكتبة الهلال، وطلبت من إبراهيم أفندي أن يرسلها لكم بعد أن أعطيته أسماءها، ودفعت له فرق الثمن وأجرة البريد، فأرسلها في الحال، وسأباشر اليوم بمسألة نسخ رسالة أبي علاء، حيث أكلف بها أحد المشايخ من أصحابي، وأشدد عليه بسرعة إنجازها، ومتى تمت أرسلها لحضرتكم في الحال وإني سأقابل ذلك الشيخ الذي أرسلتم له الدراهم وأكلمه بشأنها وسأنظر ما يجيبني به.

أيها المفضال

كتب لي أحد وجهاء المسلمين في بيروت كتاباً قال فيه:

إنه قرأ في إحدى جرائد بيروت أن للفيلسوف تولستوي المرحوم كتاباً عنوانه "محمد". وطلب إليّ أن أعربه ويدفع لي قيمة طبع خمسين ألف نسخة، وأنا لم أسمع بهذا المؤلف قط، فإذا كان موجوداً أرجوكم أن تشتروه لي بأقرب فرصة تتمكنون بها، فأكون لحضرتكم من الشاكرين.

أنا منذ سنة أشهر أعرب لجريدة يومية، اسمها المحروسة مصدر في القاهرة كل يوم مقالة عن جريدة وقد رأيت في تلك الجريدة منذ مدة مقالة بها.

احتفال الجامعة الامبراطورية العلمية في بطرسبرغ هذه المقالة ونشرت في أول الصحيفة الثانية من المحروسة، وإني سأرسل لحضرتكم ثلاث نسخ منها، للاطلاع عليها وإذا كنتم ترغبون فأنا أستطيع إرسال المحروسة لكم كل يوم فتطالعون منها ما أعربه يومياً عن وخصوصاً ما يجيء فيها بشأن تركيا. أرجوكم أن تكلفوني بكل خدمة فإني رهين الإشارة. عنواني كان بصفة مؤقتة وقد أخذت منذ عشرة أيام صندوقاً في البوسطة وتجدون عنواني التام في الصفحة المقابلة لهذه. عائلتي تهدي حضرتكم صحة تامة ويؤخر صفاءكم سيدي المخلص

سليم قبعين

رسائل سوريا إلى كراتشكوفسكي

علي الناصر

حلب في 22 أيلول سنة 1932

حضرة العلامة المفضال كراتشكوفسكي المحترم

بعد إهدائكم واجب الاحترام أقدم لحضرتكم ديوانَي شعري الصغير راجيا أن تبينوا لي رأيكم فيهما ولكم شكري سلفاً.

حلب في 3 تشرين الثاني سنة 1935

مولاي الأستاذ

ها إنني اقدم لحضرتكم "البلدة المسحورة وموانا" وأملي ان تتكرموا بمطالعتها وأن تفصحوا لي عن رأيكم بها، وهذا لطف قد عودتموني عليه حينما قدمت لكم الظمأ، و "قصة قلب" من قبل وإنني سأقدم أيضا ديوان "الأغوار" الذي هو قيد الطبع في حينه، وفي الختام أقدم لكم مزيد شكري وجزيل احترامي مولاي الفاضل.

ميخائيل عطايا

من موسكو 4 ايار سنة 1914

جناب الأستاذ المحترم

قد وصلني تنقيحكم على قاموسي وإنني ممنون جدا لكم على كل الملاحظات المفيدة ولكنني أؤكد لكم أنني لم أنظر ولا مرة واحدة إلى قاموس- - - - - - وهذا كان من تصوري في اللغة الفرنسية وبلا شك إن ما أسردتم في المشاحنة بيني وبينه هو صحيح من جهة واحدة، وهي أنني وإياه أخذنا من ينبوع واحد وهو قاموس يحيط بالمحيط، وعلى كل فإنني فعلت ما قدرت عليه، وإنني ممنون لكم جدا على كل ملاحظاتكم؛ فإن قضى الله تعالى بطبع القاموس مرة أخرى فإنني أستفيد منها جدا.

المصادر

الفصل الأول

1. د. عبد الحليم محمود، المسيحية نشأتها وتطورها، دار المعارف، 1988بالعربية
2. باختين ميخائيل، شعرية دوستويفسكي ص.193
3. مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة 1991
4. د. ماجد علاء الدين، دمشق 1984، الواقعية في الأدبين السوفيتي والعربي،
5. عمر محاميد فلسطين في أدب الرحالة الروس، مركز الدراسات الروسية، 1995
6. مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة 1991
7. فرالوفا اولغا باريسفنا، الجغرافية التاريخية لشعوب الاتحاد السوفيتي في مخطوط أبو الفدا اسماعيل ابن الاثير، ليتغراد، 1982
8. ثيودوريش، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين القرن الثاني عشر الميلادي، ترجمة د. سعيد عبد الله البيشاوي د.رياض شاهين، الشروق 2003،
9. مكارم الغمري .
10. الكسندر بوشكين جوانب أخرى من حياتهم، ترجمة وتقديم أشرف الصباغ،
    * د. عبد الله الرازق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، دار المعرفة، الكويت، 1989،
    * عطية فتحي الويشي، حوار الحضارات، مكتبة المنارة الاسلامية الكويت 2001،
11. لير منتوف ميخائل ، ليرمنتوف المجموعة الكاملة ج 2 موسكو 1976 ص، 113)
12. للدكتور سعيد البيشاوي في مقاله المنشور في كتاب العلاقات بين الشرق والغرب (تحرير د. محمد مؤنس عوض، كلية الآداب عين شمس القاهرة 2003، ص 157
13. رحلة الحاج الروسي دانييل الراهب إلى الأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي داؤود أبو هدبة، عمان، 1992 ميلادي
14. قسطنطين بازيلي، سورية فلسطين تحت الحكم العثماني، دار التقدم موسكو، 1989،.
15. محمد مؤنس أحمد القاهرة، راجع الرحالة الأوروبيين في مملكة بيت المقدس، 1099-1187م 1992، ص 78
16. عصام الدين محمد علي، آفاق الحضارة الإسلامية والأوروبية، الإسكندرية، 1993، .

17. عبد العليم أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، الكويت، 1979،
18. راجع بهذا الشأن ما كتبه من مؤلفات كل من العلماء الروس والعرب شومونسكي ت.أ مقالات في تاريخ الحضارة العربية (والقرن السابع - الخامس عشر، الملاحة والعرب، موسكو، 1982 ص 363). أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي أكبر جغرافي، ورحالة العرب في القرن العاشر، صاحب المؤلف الكبير مروج الذهب ومعادن الجوهر. كراتشوفسكي أ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي صلاح هاشم منشورات الجامعة العربية، القاهرة ص: 19 الدهان سامي، رسالة الدهان سامي، رسالة ابن مضلان، دمشق 1978.
مروة حسين النزعات المادية في الاسلام، دار الفارابي، بيروت، 1978.
بارتولد ف، ن، أخبار العرب عن الروس، مجلة الاستشراق السوفيتي م، ل، 1945، ص 34، (بالروسية)
19. الغمري مكارم مؤثرات اسلامية
20. "ليف تولستوي حكم النبي محمد للفيلسوف تولستوي وشيء عن الإسلام نقلها إلى العربية سليم قبعين القاهرة 1987 الطبعة الثالثة).
21. نيقولاي غوغول ،رسالة الى جوكوفسكي 1948 المجموعة الكاملة سانت بطرسبورغ

مصادر الفصل الثاني

1. خليل السكاكيني، كذا انا يا دنيا ،مذكرات حليل السكاكيني
2. ميخائيل نعيمة، ابعد من موسكو ومن واشنطن ،بيروت ،1970
3. ميخائيل نعيمة، مصدر سابق
4. إميل توما ،فلسطين في العهد العثماني ،كتاب الفجر ، القدس ،1980
5. د. مصطفى الخالدي ود، عمر فروخ في كتابهما "التبشير والاستعمار في البلاد العربية".
6. كراتشكوفسكي اغناتي ، مع المخطوطات العربية ،موسكو ،1960
7. ستاورا جيورجي ،من تاريخ التواجد الروسي في فلسطين رسالة دكتوراه .(بالإنكليزية)
8. خليل محمد سالم حياة اسكندر الخوري البيتجالي ،مطابع الدفاع ، القدس ،1981
9. ناصر الدين الأسد، محاضرات عن خليل بيدس ،عمان ،1963
10. خليل محمد سالم ، مصدر سابق ،
11. ميخائيل نعيمة "أبعد من موسكو ومن واشنطن"
12. نجاتي صدقي ، بوشكين امير شعراء روسيا ، سلسلة اقرا ، القاهرة 1945
13. محمود تيمور ،(أرشيف رقم 1026 مكتبة أكاديمية العلوم الروسية سانت بطرسبورغ ملف كراتشكوفسكي ، رسالة 25- أكتوبر 1925)
14. مندور محمد

مصادر الفصل الثالث

١. كراتشكوفسكي اغناتي ، مع المخطوطات العربية، موسكو 1960
2. كراتشكوفسكي اغناتي ،(مع المخطوطات ص، 42)
3. ارشيف اكاديمية العلوم الروسية سانت بطرسبورغ روسيا ملف كراتشكوفسكي
4. بشر فارس، ارشيف اكاديمية العوم الروسية ملف اغناتي كراتشكوفسكي 1908-1954
5. جرجي زيدان، ارشيف اغناتي كراتشكوفسكي ، رسائل كتاب مصر ،سانت بطرسبورغ
6. يوسف أسعد داغر
7. بندلي الجوز
8. وهبة عساف جرجس
9. قبعين سليم
10. خليل بيدس
11. عجاج نويهض
12. خليل بيدس ، مجلة النفائس العصرية
13. ناصر الدين الاسد
14. كراتشكوفسكي اغناتي. مع المخطوطات العربية التقدم، موسكو ص122
15. زياد توفيق نصراوي في الساحة الحمراء ،مطبعة النهضة، الناصرة 1972. ص32"
16. خير الله ارغاشيف ليف تولستوي والمشرق العربي
17. محمود تيمور ،ارشيف كراتشكوفسكي
18. د، ماجد علاء الدين الواقعية في الأدبين السوفييتي والعربي ، دمشق 1984 ص 92،
19. سلامة موسى الأدب للشعب، القاهرة، 1954 ص 58
20. ملف اغناتي كراتشكوفسكي ، الملف 2000
21. ابو حنا حنا ، دار المعلمين الروسية في الناصرة ، السمينار (1914- 1886) و اثرها على النهضة الأدبية في فلسطين ، الناصرة ص 128.

*شوماخر مهندس الماني عاش في فلسطين وقام في التنقيب في اثار مجيدو. انظر اهارون كامبنسكي مجيدو (بالعبرية)، تل ابيب

22. 1993 Raussia v svitoi zemle. dokumenti I material I material. Moscow tom pag 629
23. فؤاد فرح، الحجارة الحية ، الناصرة ،2003
24. دولينينا انا ، حافظ العهد ، سانت بطرسبورغ ،2000، ص 73)،
25. المصدر السابق ،ص78
26. 107Dolinina، [a،on2.no86.a.1
27. Dolinina.A.A. paj(139- 140)-
28. historian Rosie Land r.g Islam
29. بول كندي، القوى العظمى التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري (من 1500 - 2000)، دار سعاد الصباح 1993)
30. كلثوم عودة ، ملف كراتشكوفسكي ارشيف اكاديمية العلوم الروسية سانت بطرسبورغ
31. فرح بهية ، ارشيف كراتشكوفسكي ،
32. انطونيوس خوري ارشيف اغناتي كراتشكوفسكي ، اكاديمية العلوم الروسية
33. أرشيف أكاديمية العلوم ملف كراتشكوفسكي ص.5).
34. رسائل انطونيوس الأرشيف ص.11)

35. رسائل انطونيوس الأرشيف اكاديمية العلوم الروسية سانت بطرسبورغ
36. رسائل انطونيوس ميخائيل الأرشيف
37. بشير ارسلان، حاضر العالم الاسلامي ، بيروت
38. رسالة انطونيوس من تاريخ 30 نيسان 1924
39. رسائل انطونيوس ارشيف كراتشكوفسكي

* قائمة بأسماء الكتاب العرب والعلماء الذين تم رصد رسائلهم ومراجعتها المحفوظة في ارشيف اكاديمية العلوم الروسية في سانت بطرسبورغ روسيا

Казань 31. [illegible]

Глубокоуважаемый
Игнатий Юлианович!

Я к Вам со большой просьбой, но, прежде чем [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] у нас, [illegible] [illegible] [illegible] и [illegible] [illegible] [illegible] и [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. Я Вам [illegible] [illegible] на [illegible] и [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] и [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

Вам [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

Искренне уважающий Вас [illegible]

P.S. Прошу [illegible] [illegible] [illegible], если понадобится, [illegible] [illegible] книги и брошюры

[illegible] [illegible]

1) Классификация [illegible] [illegible] и [illegible]
2) Д [illegible] [illegible] [illegible] и расселение их по России
3) Взаимоотношение [illegible] и [illegible] [illegible] народов ([illegible] [illegible] на [illegible] и т. д.)
4) Распространение [illegible] среди [illegible] [illegible] и [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]) [illegible].

Свидѣтельство

Императорскаго

Православнаго Палестинскаго Общества

Кустанди Али Аррури уроженецъ сел. Кафр-Ясифъ, окончившій четырехлѣтній общеобразовательный курсъ въ Назаретской учительской семинаріи, а также двухлѣтній практическій курсъ, во время котораго занимался преподаваніемъ въ образцовомъ училищѣ, удостоенъ званія **учителя начальныхъ школъ** [illegible] Палестинскаго Общества, во удостовѣреніе чего и выдано настоящее свидѣтельство

25 Сентября 1912 года

Помощникъ Предсѣдателя Императорскаго Православнаго Палестинскаго Общества [illegible]

Секретарь [illegible]

Предсѣдатель Педагогическаго Совѣта [illegible]

Члены Педагогическаго Совѣта [illegible]

شهادة

الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية

ان قسطندي [illegible] من قرية كفرياسيف قد انهى في مدرسة المعلمين (السيمنار) بالناصرة الدروس العلمية في المدة القانونية (اربع سنين) والدروس العملية في مدة السنتين المعينتين مارس فيها التعليم في المدرسة النموذجية الروسية. واستحق وظيفة معلم في المدارس الابتدائية للجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية واشعارا بذلك قد اعطي هذه الشهادة

عن بطرسبرج (٢٥) ايلول سنة ١٩١٢

[illegible]

سيدي الفاضل المحترم والعالم المدقق حفظه الله!

بعد السلام عليكم والسؤال عن صحتكم واشغالكم
العلمية اتجاسر ان اطلب اليكم ان تقضوا لي
حاجاتي الآتية واني اشكركم سلفا معروفكم وحسن
جميلكم وآمل ان لا تخيبوني ولو كان لكم من ذلك
شيء من التعب وضياع الوقت الثمين —

١— ارجوكم ان ترسلوا لي كلما سنحت لكم فرصة الكتب
والمقالات الآتية بطريقة Наложн. плат.
١) مقالة الاديب المستشرق Вальтер Фромм-: ... индских халифов —.
٢) مصادر الشعر العربي للبارون (?) Гинцбург — ٣) تاريخ الديانات
و Фирзаем . История Болгар (?) للبارون
روزن ٥) Анонимная сирийская (?) Хроника :
(Некоторые разыскания) Перевод нрав. ...
Сказание о первых церквах в Наил- ٦)
египте ترجمة .
٧) ما تقفون عليه من مقالات مستشرقي بطرسبرج

سيدي الأستاذ العلامة الفاضل المحترم ! وبعد فإني
اقدم اليكم مزيد الاحترام وأطيب السلام . على الناصر
هدية بعنوان حضرتكم لصديقي الشاعر الطيب
فقد عرضت لنا قضية تاريخية لم نجد لتحقيقها وسيلة سوى
عرضها على حضرتكم . الشرقية
لي صديق يؤلف كتاباً في تاريخ الأمم السلافية
في القرون الوسطى ، وسيعرض هذا الكتاب ، بعد
برهة يسيرة ، على شعبة التاريخ في جامعة الأستاذية .
وقد كتب الي كتاباً يسألني عما قاله الرحالة العرب خاصة
ومؤرخوهم عامة عن مناسبات العرب بالأمم السلافية
الشرقية في القرون الوسطى وعما أفاده رحالة العرب
أتوا أقطارهم وتحدثوا عن أحوالهم الاجتماعية ، فلم
أعثر فيما بين أيدينا من الكتب الا على يسير لا يؤبه له .
فمن ذلك ما ذكره ابن بطوطة عن بلاد بلغار فقد اقتصر
على ذكر قصر الليل وطول النهار في تلك البلاد .

حلب : ١٧ آذار ١٩٢٥

سيدي الأستاذ الفاضل والعالم الجهبذ الجليل المحترم !

ابدي لقد[illegible] بعد اهدائكم اطيب تحية وتقديم الاحترام العلمي وما تفضلتم به من اخذت كتابكم وشكرت لحضرتكم عنايتكم وعلى عنوان الأستاذ السيد ولالتي على الموسوعة الأسلامية وسأكتب الى الموماليه لعلي احصر احمد زكي وليدي في فينا من رسالة ابن فضلان منه على مالم يذكره ياقوت ولا اتمكم انه لم تخطر اما الموسوعة فأني لم اقبلها الى الآن قد استقى منها ببالي مع انه العلامة الأمير شكيب ارسلانه في حاشية علي كتاب اكثر المعلومات عن تاريخ الامم الأسلامية فأشكر حضرتكم على هذا التذكير الذي حاضر العالم الأسلامي ، عاجلاً . هيئي على اقتناء هذا الاثر القيم فأحمد على عنايتكم الرقيقة وقد اطلعت الدكتور على الناصر وهو جد أعماله من شرف تقديم ولهانه من قبل حضرتكم يشكركم على لطفكم ويهديكم الأحترام الكثير . واني يا سيدي الأستاذ الفاضل لجد فخور لتعرفي الى رجل العلم والتضحية الفذ في شخص حضرتكم ، ولجد سعيد

بهذه الفرصة التي اتاحت لي هذا التعارف ، فأنا اقدم الشكر مع شكري العظيم الى عواطف اشتياقي ، لدنكم منبع العلم ومورد لرواده وعلى زواره وتفضلوا بقبول : الى احترامي واخلاصي سيدي العلامة الفاضل المحترم

المخلص

[illegible]

كنت مشغولاً في هذه الأشهر الاخيرة بالتصحيح وتعليق القرآت على كتاب الآداب لعبد الله بن المعتزّ العبّاسي وهي رسالة لطيفة صغيرة في عشرين صفحة استنسختها قديمًا من النسخة الوحيدة المحفوظة في المتحف البريطاني ولم أسمع من النسخة غيرها في الشرق والغرب وهذه الرسالة لم يتيسّر لي طبعها حتى الآن.

ومما انعمت حالي في تصحيحه وجمع قرآته وتعليق حواشيه كتاب البديع لابن المعتزّ ايضًا وهذا الكتاب من الكتب المشهورة في فنّه كما لا يخفى على ذهنكم الوقّاد ولا يوجد كتاب في البديع والبيان إلا وأخذ منه جلّه او كلّه وأثنى عليه بما هو جدير به كما هو مذكور في كتاب العمدة لابن رشيق او كتاب الصناعتين للعسكري او غيرهما. وهو على اهميّته لم يطبع حتى الآن ونسخته وصحّحته حسب النسخة الوحيدة الموجودة في اسكوريال من بلاد الأندلس.

ومما اعلّل نفسي بطبعه منذ سنتين فهارس رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي حسب طبعة مصر، وهذه الرسالة المشهورة عبارة عن "معلمة" فيها من كلّ فنّ جزء حسن يعسر وجود شيء منه بدون تصفّح من الاول الى الاخر، لهذا عملت عليها فهارس متنوعة مثلما فعل العلّامة غويدي مع غيره من العلماء لكتاب الاغاني الكبير او الاستاذ بيفان الانكليزي مع صديقي العلّامة كرانكو لأمالي القالي. وهذا كلّه ليس لي اقلّ رجاء في طبعه عندنا او في اوربه.

ولي التماس ثانٍ والامل ان يحظى لديكم بالقبول وهو هذا - يشتغل تلميذ من تلاميذي في جمع الاشعار والاخبار المتعلّقة بحياة الشاعر وضّاح اليمن معاصر الدولة الاموية وهو لم يوجد ديوانه في المكاتب المشهورة وان كان قد رآه العيني المؤرخ الشهير. وقد جمع هذا الشابّ الفاضل طرفًا حسنًا من مقطعاته وكتب اليه أخيرًا الاب العلّامة لامنس اليسوعي يخبره بوجود ترجمة الحيوة لهذا الشاعر في تاريخ دمشق لابن عساكر جزء ٨ المحفوظ في مكتبة الملك الظاهر وهذه الترجمة تحت اسم "عبد الله بن اسمعيل" (وان كان الوضّاح مذكورًا في كتاب الأغاني باسم "عبد الرحمن") ولو كنتم إليّ من طريق الوصول إلى هذه النسخة واخذ نسخة لهذه الترجمة لكنت لكم من الشاكرين.

قد القيت في يوم الاحد الماضي محاضرة عمومية في اللغة العربية وتاريخها وانتشارها واحوالها الحاضرة وقد شرّفها جمّ غفير من الرجال والنساء وكان لها على ما لحظت وقع حسن عند السامعين وقد ذكرت اثناءها المجمع العلمي العربيّ وما له من اليد الطولى والسعي الحميد في إحياء اللغة الشريفة وآثارها.

ومن ذلك ما أشار إليه المسعودي باختصار عن رحلة ابن فضلان أيام المقتدر العباسي وما اقتبسه من نفس الرحلة السلافية الرحالة ثم ما نقله ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادتي (بلغار، وصقلب) عن رحلة ابن فضلان المذكورة أيضاً، وهو محشو بخرافات كثيرة ليس لها قيمة تاريخية. وإني ليغلب عندي الشك في صحة ما ذكره ابن فضلان هذا من أسباب رحلته وقبائل السلافية. كما أني وجدت تقسيم القبائل السلافية الذي ذكره المسعودي مضطرباً فيه تخليط كثير، وقد يكون ناشئاً عن تحريف الأسماء السلافية؟ حسبما تقتضيه اللهجة العربية وعن زيادات الرواة. ولذلك لم أجد في كل هذا ما يكشف حقيقة ويبدد غموضه.

ولا ريب في أن العرب الذين وصلوا إلى بلاد الخزر قد اتصلوا بالأمم السلافية وقد يكون غير ابن فضلان قد وصل إلى بلادهم ووصف أحوالهم الاجتماعية وربما أنه كتب عنها وصفاً قد يفيد المؤرخ اليوم أموراً لها قيمة تاريخية إن تخرج من رسالة ابن فضلان أنه اطلع عليها ثابتة لو أن الرسالة التي قال ياقوت موجودة بين أيدينا.

فأرجو من حضرتكم أن تتفضلوا بإفادتي بما أحاط به علمكم الواسع مما ذكره بعض الرحالة العرب عن الأمم السلافية في القرون الوسطى مع الإشارة إلى المأخذ وأكون شاكراً فضلكم جداً إذا وافاني جوابكم قريباً لأتمكن من إرساله إلى صديقي الذي سيقدم أطروحته بعد برهة يسيرة. وتفضلوا بقبول فائق احترامي سيدي الأستاذ المحترم

أحمد الرفاعي

لقد عزم صديقي الدكتور علي الناصر على نشر الجزء الثاني من ديوانه وقد وهو يرغب جداً أن يزين هذا الجزء بمقدمة من حضرتكم تتكرمون بكتابة طلب إلي أن استجيزكم في ذلك فإنه لكم [illegible] يرسل إليكم نسخة الديوان [illegible] المقدمة [illegible]

عنواني:

Ahmed Rifai

Alep (Syrie)

سيدي العزيز الفاضل

سلاما واحتراما اما بعد فقد تسلمت رسالتكم
وشكرت حسن ظنكم بهذا الحقير وهانا ذا اجيبكم على كل كلمة
لعل المصادر واقوال العربية المتعلقة باحوال الامم السلافية واخبارها
الكثيرة جدا وان كانت متفرقة في مواضع شتى
وقد كتبت عنها كثيرا لا سيما في اللغات السلافية
ولا سيما من رسالة ابن فضلان التي وجدت منها اخيرا
نسخة في المشهد (من بلاد الفرس) اتم واصح من
التي نعرفها بواسطة ياقوت الحموي
واغلب ظني انكم تجدون كل ما يفيدكم ويغنيكم
من تقليب كتب كثيرة في المقالات المتعلقة بهذا
الموضوع المنتشرة في دائرة المعارف الاسلامية وهي
كما لا يخفى على ذهنكم الوقاد طبعت في ثلاث
لغات اللغة الالمانية والفرنسية والانكليزية
في ليدن من بلاد هولاندا وفيها تجدون
المقالات عن ابن فضلان والخزر والصقالبة (بالفارسية) والسلافية الخ
حسب المصادر العربية وهي مكتوبة بقلم العلامة
المرحوم بارتولد (الاستاذ وهو كان من

المكتب الادبي المصري
THE EGYPTIAN LITERARY BUREAU
(President: Dr. A. Z. ABUSHADY)
الرئيس : الدكتور احمد زكي ابوشادي

Telephone:
LAurelton 8-7564

[illegible] 146th Terrace
New York Blv'd
Jamaica 5, N. Y.

AIR MAIL

Prof. Ign. Kratchkovsky,
Arabic Department,
Leningrad University,
Leningrad, U.S.S.R.

نيويورك في ١٨ مايو ١٩٥٠

عزيزي الأستاذ كراتشقوفسكي

تحياتي القلبية اليكَ وشكراً لتحيتك الكريمة التي تفضلت بها عليّ، وقد أذاعتها جريدة (الاصلاح) النيويوركية في عددها المؤرخ ٨ أيار (مايو)، وتجد قصاصتها مرافقة لهذه الرسالة، وكذلك قصاصة عن جريدة (السائح) النيويوركية — لسان حال "الرابطة القلمية" — حاوية قصيدة الشاعر المشهور ندره حداد، وأيضاً صورة الخطاب الذي ألقاه الاستاذ فون جرينباوم كنموذج لما قيل في الحفلة التكريمية التي كانت ناجحة جداً كظاهرة للتآخي الأدبي بين الجنسيات المختلفة. واني موافيك أيضاً بقصيدتي التي أعددت للحفلة.

لعلّ النسخة المهداة من ديواني الجديد "من السماء" قد وصلت الى يدك سالمةً. ويسرني إرسال نسخ أخرى هدايا الى أصدقائك الأدباء والى المعاهد الأدبية والجامعات التي تختارها متى وافيتني بالأسماء والعناوين.

وأخيراً أرجو أن لا تحرمني مكاتبتك أو تكليفك إياي بأية خدمة أدبية في طاقتي أداؤها، وكذلك أؤمل أن أحظى من جامعة لينينغراد بمطبوعاتها العربية الميسورة لأتولى دراستها والكتابة عنها في الصحف العربية الأمريكية أو في بعض المجلات العربية الممتازة في الشرق الأوسط. وتقبل عربون محبتي صورتي الشخصية المرافقة، ولعلي أحظى بصورتك العزيزة.

ودمت في أسعد الأحوال
المخلص دائماً
أحمد زكي أبوشادي

ص ، وألبث فيها حتى الساعة تسعة وقد اشتركت بجريدة ([illegible]) والجأ عرب منها مقالات واخبار تصادف دائماً استحسان القراء

من المشروعات الخطيرة التي ظهرت بيننا مشروع احياء آداب اللغة العربية وتفصيل ذلك ان صديقكم سعادة احمد بك زكي كان في صيف هذا العام في الاستانة فنقب في مكاتبها فوجد هناك كثيراً من الكتب الخطية وقد اشتغل زمناً بنسخها بمساعدة فريق من الناسخين ولما عاد الى مصر من الاستانة عرض على نظارة المعارف المصرية فقررت طبع جميعها وطلبت اعتماداً ماليا لذلك فصادقت الحكومة عليه وقد شكر الناس لزكي بك هذه الهمة وقدروا فضله حق قدره

كان لوفاة الفيلسوف تولستوي رنة حزن في القاهرة وقد نظم احمد بك شوقي شاعر الخديوي وحافظ افندي ابرهيم قصيدتين في رثائه نالتا اعجاب الناس على اختلاف الاجناس وقد كتبت الجرائد العربية مقالات كثيرة واقترحت على اكثر الجرائد اليومية ان تنشر مقالات فكتبت لكل واحدة مقالة مختلفة وقد رسمت الجرائد رسمه واهتمت به اهتماماً شديداً رحمه الله

ارجو اذا كان يلزم لحضرتكم بعض الكتب من القاهرة او جرائد او غيرها أمر ان تكلفوني به حالاً فانا مستعد لتقديم كل خدمة تلزم

مرسل لحضرتكم هذا الخطاب بواسطة الكلية الامبراطورية ولا ادري هل يصلكم ام لا .

مع جميع افراد عائلتي التي ما زالت تذكر لطفكم نقدم لكم فروض المعايدة بالسنة الجديدة ونسأل الله ان يعيدها عليكم اياماً لا تحصى واعواماً لا تستقصى ويمدكم بمزيد الخير والتوفيق والارتياح

واني اختم كتابي هذا بتكرار عبارات الشكر لحضرتكم وادامكم الله بخير لصديقكم المخلص

سليم قبعين

عنواني الجديد

Caire Egypte
Sélim Cobein
poste restante

مصر في ٨ يناير ١٩١١

سيدي العلامة الفاضل المسيو اغناطيوس حفظه الله وابقاه

لقد هجرتني يا مولاي هجراً طويلاً وما كنت متعوداً من فضلك هذا الصد فقد طالما عهدتك وفياً لاصدقائك اميناً لاصدقائك مضت الاشهر تلو بعضها وهو وانا محروم من اخبارك وافكارك السامية وبينما انا تائه في لجج الافكار اذ وصلتني مجلة ([illegible]) وقد تصفحت ما ورد فيها بصحيفة ٢٩ - ٤١ فعرفت من اول وهلة ان يراعكم دبج تلك المقالة الدرية والحقايق فقد اوليتموني نعمة لا انساها ما دمت حياً وقلتم عني اشياء لا استحقها ولكنه طيب عنصركم وغزير فضلكم أمليا عليكم ذلك فانا اشكركم ما استطعت الى الشكر سبيلاً واسأل الله ان يديمكم عضداً للاخوان وان يبقيكم كوكباً ساطعاً في سماء المعارف والفضل ومهما شكرتكم فان لساني يقصر عن ايفائكم حقكم من الشكر والامتنان فارجو ان تعذروني عن تقصيري في ذلك. كنت ارجو انه آخذ مع تلك المجلة كتاباً من حضرتكم ينبئني عنكم ويشفي غليل الفؤاد المتعطش الى استقاء ماء العلم الصافي من ذلك المورد العذب ولكنه بعد انتظار ايام معدودة خابت آمالي ولذلك ارجوكم ان لا تحرموني من بنات افكاركم ودرر الفاظكم

انا الآن ما زلت في المدرسة وقد عينت منذ شهر به محرراً في جريدة كبرى تدعى الترقي تصدر بثلاث لغات : العربية والفرنسية والانكليزية وهي تصدر في الصباح وبعد خروجي من المدرسة أقصد ادارتها فاصلح الساعة

SELIM COBEIN
Boite Postale No 333 Le Caire
Egypte

سليم قبعين
مصر صندوق البوسطه نمره ٣٣٨

مصر ٢١ مارس ١٩١٢

سيدي الاخ الفاضل

اهديك مزيد تحياتي واشواقي الوافرة وبعد فانه يحق لكم ان تستغربوا الظهور في سكوتي الطويل ولكن لو عرفتم اسباب سكوتي لعذرتموني وغفرتم لي هذه الزلة التي ارتكبتها نحوكم وتبرئة لنفسي ادون لحضرتكم تلك الاسباب لتكونوا على جلية من الامر وتتحققوا بان سكوتي كان لاسباب هامة ارغمتني على ذلك فاقول:

سافرت في شهر سبتمبر الماضي الى سوريا فنزلت في حيفا ومنها قصدت الناصرة حيث حضرت ليوبيل الاحتفال للمدرسة الداخلية الروسية ثم قصدت دمشق وبلودان لمشاهدة اخ لي يتاجر فيها وبعدها عدت الى حيفا لاركب منها احدى البواخر الى القاهرة ولكن لسوء حظي ظهرت فيها الكوليرا وامتنعت البواخر عن المرور عليها فمكثت بها وانا على احر من الجمر ثم هربت الى دمشق ومنها الى بيروت وهناك ايضا لم تقف البواخر ايضا فلبثت شهرا ونصف وانا قلق البال لان اشغالي معطلة واخيرا سافرت الى القاهرة وقضيت في محجر الاسكندرية (الكرنتينا) عشرة ايام وبالاختصار وصلت القاهرة بعد ان مر شهران على افتتاح المدرسة وكنت في مركز حرج ماليا ولولا انه كان لدي اربعة اسهم من اوراق البنك العقاري المصري لقضي علي وعلى مستقبل اولادي وكنت كتبت وانا في سوريا الى ابني ان يبيع تلك الاوراق ويدفع رسم المدارس عنه وعن اخيه واخته وينفق ما يتبقى من ثمن تلك الاوراق ريثما يرسل الله الفرج وبعد ان عدت الى القاهرة وفقني الله لاستلام جميع اعمالي التي كنت تركتها من ذي قبل ولكن ما اشتغلت شهرا حتى اصبت بالم في داخل انفي وبعد الكشف الطبي قرر الطبيب الاختصاصي بامراض الانف ان في انفي مرضا يسمى: "بوليبوس" ولا يشفى الا بعملية جراحية فرضخت لامر الطبيب وسلمته نفسي وعمل لي عملية لازمت الفراش بعدها ١٥ يوما لكنها نجحت باذن الله نجاحا تاما ولكن بعد ان تكبدت نفقات طائلة اضعفت حالتي

ПРИЛОЖЕНИЕ

1. Великий князь Сергей Александрович – основатель и первый Председатель Императорского Православного Палестинского Общества. 1882-1905.
2. Великая княгиня Елизавета Феодоровна. Председатель Императорского Православного Палестинского Общества.
3. Список книг, по которым учились в начальных школах Общества, составленный И.Кезмой. Архив Сухейл Радван, Хайфа.
4. Сертификат об окончании семинарии в Назарете Кустанди Янни, жителя деревни Кафр Ясиф. 1912. Хранится у Михаила Булуса. Куфр. Ясиф.
5. Обложка учебника по Закону Божьему в переводе И.Кезмы. Архив Сухейл Радван.
6. Письмо Таха Хусейна И.Ю.Крачковскому. Хранится в СПФ Архива РАН, ф.1026.
7. Письмо Селима Кубейна И.Ю.Крачковскому. Хранится в СПФ Архива РАН, ф.1026.
8. Письмо Селима Кубейна И.Ю.Крачковскому. Хранится в СПФ Архива РАН, ф.1026.
9. Письмо Джирджи Зейдана И.Ю.Крачковскому. Хранится в СПФ Архива РАН, ф.1026.
10. Письмо Бандали Джаузи И.Ю.Крачковскому. Хранится в СПФ Архива РАН, ф.1026.
11. Обложка журнала Халиля Байдаса "Ан-Нафаис аль-асрийя".

النفائس العصرية

مجلة ادبية فكاهية تاريخية

لمنشئها

خليل بيدس

السنة الثالثة

١٩١١

AN-NAFAIS AL-ASSRIAH

Revue Littéraire, Humoristique et Historique

Propriétaire-rédacteur

KHALIL BÉDAS

Jérusalem, Palestine

Troisième Année

1911

مطبعة دار الايتام السورية ✡ القدس

مختصر

التاريخ المقدس

لمنفعة اولاد المدارس الابتدائية

الارثوذكسية

استخرجه من اللغة الروسية

اسكندر جبرائيل كزما

الدمشقي

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة في ٢٥ ايار

سنة ٣٠٧ نومرو ٢٥٧

طبع سابعة بالمطبعة البطريركية في دمشق سنة ١٩١١

النفائس العصرية

مجلة ادبية فكاهية تاريخية

لمنشئها

خليل بيدس

السنة الثالثة

١٩١١

AN-NAFAIS AL-ASSRIAH

Revue Littéraire, Humoristique et Historique

Propriétaire-rédacteur

KHALIL BÉDAS

Jérusalem, Palestine

Troisième Année

1911

مطبعة دار الايتام السورية * القدس

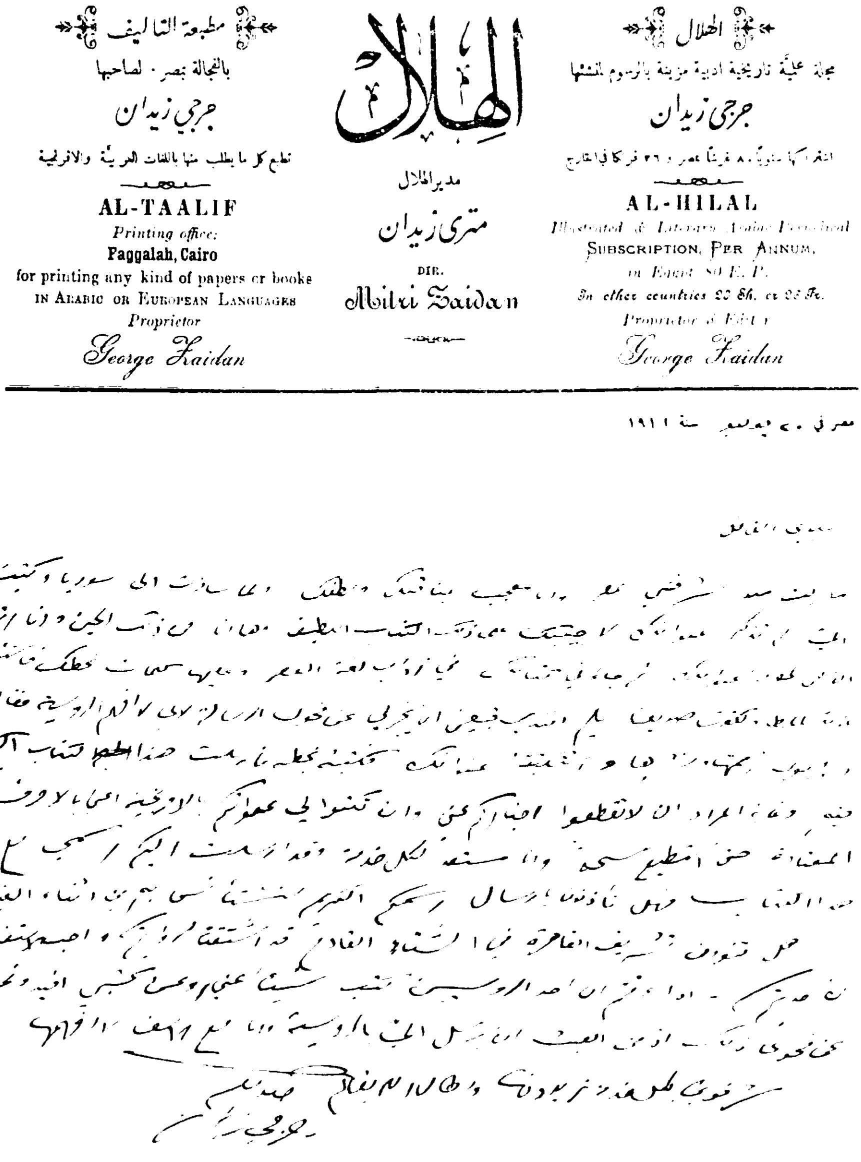
4

Казань 3/x 11

Глубокоуважаемый
Игнатій Юліановичъ.
Entre nous!

Я къ Вамъ съ большой просьбою, но, прежде чѣмъ сказать какая она, скажу нѣсколько словъ объ обстоятельствахъ, вызвавшихъ ее.

Благодаря новому уставу освобождаются у насъ, въ Академіи, сразу многія кафедры и, въ томъ числѣ, кафедра арабскаго и татарскаго языковъ съ ихъ предметами. Я 15 лѣтъ числился кандидатомъ на первую и, казалось, долженъ былъ бы занять ее безпрепятственно, но для церковнаго міра существуетъ особая логика и нравственный



مطبعة التأليف
بالفجالة بمصر · لصاحبها
جرجي زيدان
تطبع كل ما يطلب منها باللغات العربية والافرنجية

AL-TAALIF
Printing office:
Faggalah, Cairo
for printing any kind of papers or books
IN ARABIC OR EUROPEAN LANGUAGES
Proprietor
George Zaidan

الهلال
مدير الهلال
متري زيدان
DIR.
Mitri Zaidan

الهلال
مجلة علمية تاريخية ادبية مزينة بالرسوم لمنشئها
جرجي زيدان

AL-HILAL
Illustrated & Literary Arabic Periodical
SUBSCRIPTION, PER ANNUM,
in Egypt 80 P. T.
In other countries 20 Sh. or 25 Fr.
Proprietor & Editor
George Zaidan

مصر في ... سنة ١٩١١

Письмо Джирджи Зейдана И Ю.Крачковскому. Хранится в СПФ Архива РАН, ф.1026.

41

AL IKHAA (FRATERNITÉ)
Revue Arabe, Mensuelle

PROP. & RÉDACTEUR
SELIM COBEIN

B· POSTALE No, 1949
LE CAIRE (EGYPTE)

الاخاء هي المجلة الوحيدة التي تنقل رواياتها عن اللغة الروسية وتنشر مناظر حكومة السوفيت وفي كل عدد منها مسابقات مجانية للكبار والصغار وهي المجلة الوحيدة التي يطالعها القارىء من اولها الى آخرها بدون ملل وقد اصبحت على مائدة عدد سائر العائلات وزينة المكاتب جرب واطلب عددا منها

الإخاء

مجلة علمية تاريخية أدبية روائية مصورة
لصاحبها
سليم قبعين

عنوان المراسلات صندوق بوستة ١٩٤٩ بمصر

مصر في ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨

صديقي العالم الفاضل اغناطيوس كراتشكوفسكي المحترم

أقدم لحضرتكم أزكى التحيات وأطيب السلام وبعد فاني أرجوكم عذراً لتقصيري معكم وعدم اجابتكم عن رسائلكم السابقة واني لا أجد كلمات اعتذار لكم غير قولي باني مقصر ومذنب فأرجوكم ان تسامحوني عن قصوري هذا وأعدكم باني في المستقبل أكفر عن تقصيري السابق واني مستعد لكل خدمة وقضائها بأسرع ما يمكن وانا أعلم طهارة قلبكم وكرم أخلاقكم لذلك أرجو ان تنسوا تقصيري الماضي

مازلت أنشر مجلتي بانتظام في مواعيدها وقد بدأنا من هذا العدد السنة الخامسة ومازلت أستقي وأستمد موادها من اللغة الروسية وكنت مشتركاً بعدة مجلات روسية تصدر في ريغا ولكنها كلها احتجبت عن الظهور وصارت المواد عندي ضعيفة في هذه الأيام

ويسرني اني افتتحت العدد الأول من السنة الخامسة بمقالة عن الأكاديمية الروسية في لينينجراد فترجمتها عن مجلة Огонек التي أرسلها لي الخواجه توفيق كزما من كييف . فقد رسمت فيها رئيس الأكاديمية وبعض أعضائها ورسم حضرتكم مما ترونه في المجلة والآن مرسل لحضرتكم مع هذا الخطاب ثلاثة اعداد من المجلة وأرجو ان تطلعوا عليها اعضاء الجامعة وأكون شاكراً لو كتب لنا بعضهم مقالات بخط واضح باللغة الروسية لنترجمها الى المجلة ومرسل لحضرتكم نسخة من رواية أنشودة الحب التي طبعتها في العام الماضي وان شاء الله تجدون الترجمة تليق بالأصل وتعجبكم . واني لجهلي لعنوانكم الحالي ارسلت لحضرتكم ذلك الى الأكاديمية . ثم اني الآن مستعد لأن أرسل لحضرتكم

Письмо Селима Кубейна И.Ю.Крачковскому. Хранится в СПФ Архива РАН, ф.1026.

في بيروت في ٢٨ نيسان ١٩٦١

سيدي الاستاذ العزيز الفاضل

سلاماً واحتراماً اما بعد فقد وصل كتابكم العزيز وانا متغيب عن بيروت اثناء العطلة المدرسية، ولذا تأخر جوابي عنه، فارجو منكم ~~المعذرة واكرم من عذر. واني اشكركم~~ من صميم القلب ما تلطفتم به من عبارات التشجيع لمبتدئ لا يزال يجتهد في السير وراء من تقدمه من كبار الادباء امثالكم. فاذا سمع ما يشجعه ازداد امله وتقوى نتاج اجتهاده.

كما اني اشكركم ايضاً اهتمامكم بشأن الرسالة الكاتبة، فاطلعت على النسخة المنشورة بالفوتوغراف في مجلة "Islamica" وسأستفيد منها ان شاء الله في الطبعة التي اعدها من جديد.

هذا واحب ان لا تترددوا في تكليفي ما يلزمكم من بيروت، وتفضلوا بقبول احترام المعجب بكم والمخلص لكم

فؤاد افرام
البستاني

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

المصادر